20 me. année No 977

Le Caire 24 — 3 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٧٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ — ٢٤ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

تحية للشيخ الرئيس

بمناسبة الاحتفال بذكراه الألفية

ابن سينا كما يتخيله الفرنج

فى هذا الأسبوع ، وفى بغداد عاصمة العلم القديمة ، يحتفل العالم الإسلامى بالذكرى الألفية لمولد الطبيب الرياضى العالم الفيلسوف أبى على الحسن بن سينا واحد فنه فى الشرق والغرب ، ونادرة عصره فى الطب والحكمة ، وأحد العباقرة العالميين الذين رفعوا قواعد العلم ، ونهجوا سبل المعرفة ، ووصلوا ما انقطع من تسلسل الفكر الإنسانى بين الفلسفة الإغريقية القديمة ، والفلسفة الأوربية الحديثة

ولد أبو على سنة ٣٧٠ هـ فى قرية من قرى بخارى كان أبوه عاملا عليها للأمير نوح بن منصور السامانى ، ثم توفى سنة ٤٢٨ بهمذان إحدى مدن إيران كان قد وفد إليها على الأمير علاء الدولة البويهى ؛ فكان ظمء حياته على هذه الأرض ثمانية وخمسين عاما قضى أكثرها فى الاضطراب والاغتراب والقلق والسجن والخوف والشهوة والمرض ، ومع كل أولئك استطاع أن يكون بحر العلم الزاخر فى وقته ، وبدر العلماء الزاهر فى جيله ، فقرأ كل كتاب وانتفع منه ، وحذق كل علم وزاد فيه ، وألف مائة سفر فى الطب والفلسفة والمنطق واللغة والموسيقى والرياضيات والطبيعيات والإلهيات والأساطير ؛ وكان أول عالم ظهرت فى علمه الفلسفة الكلامية على أتم ما كانت من الدقة والسمة والوضوح . ثم كان هو والبيرونى الغاية التى لم يكن وراءها مذهب للفكر فى القرون الوسطى : هو بدقة نظامه وبراعة فهمه ، والبيرونى بقوة ملاحظته وسعة علمه

ربى ابن سينا منذ الخامسة من عمره تربية علمية منظمة ، فحفظ القرآن وتثقف الأدب وشدا شيئا من الحساب والفقه . ثم سمع فى محاورة أبيه لأخيه وهما شهمان كلاما فى النفس والعقل ، وإشارة إلى الفلسفة والهندسة ، فصبت نفسه إلى علم ذلك . وورد يومئذ بخارى أبو عبد الله الناتلى فأقرأه فى المنطق إيساغوجى ، وفى الرياضة المجسطى ، فكان الأستاذ يقف عند المبادئ والظواهر ، والتلميذ يغوص على المسائل فيستخرج الدقائق ، ويمحص الحقائق ، ويبصر العلم بما لم يبصر . ثم رغب

فى علم الطب فتلقى أصوله على أبى سهل المسيحى ، واستقصى فروعه وحده حتى انتهت إليه الزعامة فيه . كل ذلك وسنه على ما قال هو نفسه لم تتجاوز السادسة عشرة . ثم أبرأ الأمير نوح ابن منصور من مرض برّح به ، فقربه إليه وأذن له فى الدخول إلى دار كتبه ، وكانت عامرة بنوادر الأسفار فى كل علم وفن ، فوعى ما فيها من كتب الطب والفلسفة وما بعد الطبيعة على ظهر قلبه . ثم أصابتها النار عمدا أو خطأ فلم تبق منها على ورقة ! فانفرد الشيخ بكنوزها المخبوءة فى صدره ، وكانت هذه النكبة العلمية من مزاياه على غيره !

ثم توفى أبوه وضعف شأن أميره فاضطربت به الأحوال ، وتدفقت عليه الأهوال ، فخرج وهو فى الثانية والعشرين من عمره إلى قصبة خوارزم فأقام بها يسيرا فى كنف أميرها على بن مأمون ، ثم غادرها إلى جرجان فثقف بعض الناس ، وألف بعض الكتب . ثم انقلب إلى همذان فوزر لشمس الدولة بن بويه . فلما توفى هذا الأمير وخلفه ابنه تاج الدولة صرفه عن عمله ، ففرغ للبحث والتأليف ، وصنف فى هذه الفترة أعظم كتبه . ثم نشب الصراع بين أمير همذان وأمير أصبهان فانتهم بالدعاية إلى علاء الدولة ، وطلبه تاج الدولة فاختبأ فى حانوت صيدلى حتى وقعت العيون عليه فسجنه فى إحدى القلاع . فأنشأ فى ذلك قصيدة منها هذا البيت :

دخولى باليقين كما تراه وكل الشك فى أمر الخروج

وظل فى السجن أربعة أشهر حتى استطاع أن يفر متنكرا فى زى الصوفية إلى علاء الدولة بأصبهان فأقام فى حماه وادع النفس ، يؤلف ويختصر ، ويحاضر ويناظر ، ويمترض ويجيب . واتفق ذات ليلة أن جرى فى مجلس الأمير حديث فى اللغة شارك فيه ابن سينا ، وكان أبو منصور الجبان حاضرا ، فأنكر عليه أن يتكلم فى غير علمه ، فأنف الشيخ من هذا الإنكار وعكف على دراسة اللغة ثلاث سنين حتى بلغ منها موضعا جليلا أهله لأن يؤلف فيها كتابا سماه لسان العرب لم يؤلف مثله قبله أحد ! وهكذا انقضت تلك السنين الأربع والمحمون فى عمل لا يفتر ، وسعى لا ينى ، وعذاب لا يرحم ، وصراع لا يهادن ، وحظ لا يساعد ، وولوع بالنساء لا يهدأ ، ونزوع إلى الشراب لا يكف ، حتى وهن الجسم القوى ، ووهى العزم الشديد ، ونرات بالنطاسى العظيم علة تكل عنها تدبيره وطبه !

* * *

كان الشيخ الرئيس يرد الله تراه آية من آيات الله فى لقانة الذهن وأصالة العقل وقوة الحافظة ونفاذ الهمة . أكثر علمه من اجتهاده ، وأنجح طبه من تجاربه ، وأجل كتبه من حفظه . وكان على استبداد عقله بفكره ، وطغيان علمه على فنه ، صافى القلب للدين ، صافى النفس للشعر ، سامى الخيال للقصص . كان إذا أعيت عليه مسألة ذهب إلى المسجد فتوضأ وصلى وابتهل إلى الله أن يجلو عليه ما غمض ويفك له ما أشكل . ثم كان له فى الشعر العينية ومقطوعات أخرى من النمط الرفيع والنسق الفريد ، وفى الأساطير (سلامان) و (حى بن يقظان) و (الطير) ، وهى رموز لمعان سامية من الحكمة العالية والروحية الجميلة . وكان فى الشيخ رحمه الله صوفية لا تجرى على منهاج المتصوفة : صوفية هؤلاء وجدانية تقوم على الزهد والتقشف ، وتقصد إلى تصفية القلب وتطهيره ؛ وصوفيته هو عقلية تبيح النعيم واللهو وترمى إلى تقوية العقل وتنويره . وكان أعظم ما يميز الشيخ اليقين فيما يرى ، والثقة فيما يقول ، والإبانة فيما يكتب . كان لا يشك إذا علم ، ولا يتردد إذا فهم ، ولا يتحسس إذا استبان . وتلك طبيعة العالم لا الفيلسوف ، والدارس لا الباحث ، والمتبع لا المبتدع ، والمؤلف لا المنشئ .

هذه أثارة من حياة حافلة ، وإشارة إلى مجد باذخ ، وعبارة من تاريخ ضخم . ذكرناها على هذا الإيجاز القاصر اكتفاء بما سيلقيه ذوو الاختصاص فى حفلات مهرجانه من البحوث المفصلة فى طبه ، والخطب المطولة فى فلسفته . وإنا لنحيى خاشعين من وراء الستر ذكرى الشيخ الرئيس ، ونسأل الله ضارعين أن ينعم روحه فى الخلد ، وأن يطيب ذكره فى الخلود

حسين الزيات

مع ابن سينا في عبره الأولى

ملوك وأمراء

في حياة الرئيس ابن سينا

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

لعل أوثق المصادر عن ابن سينا وحياته هو الشيخ الرئيس ابن سينا نفسه في الترجمة التي كتبها بجيبا بها عن سؤال أحد تلاميذه إياه. وقد أكمل هذه الترجمة تلميذه وتابعه وصاحبه منذ أن اتصل به في إقليم جورجان إلى حين وفاته. وهذه الترجمة محفوظة بالمتحف البريطاني (١) في نسخة لا تزال خطية. وقد استفاد منها ابن أبي أصيبعة فنقلها في كتابه «عيون الأنباء» (٢) كما نقل أكثرها المؤرخ القفطي المصري في كتابه «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» (٣)

ولقد عاش ابن سينا في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والثلث الأول من القرن الخامس، لأنه توفي في سنة ٤٢٨ هـ وهو عصر كثر فيه تقسيم الدولة العباسية إلى دويلات صغيرة، فهناك الدولة البويهية التي وقع تحت سلطانها خلفاء بغداد، وخاصة الطائع والقادر والقائم الذين عاش ابن سينا في مدة خلافتهم (٤). وهناك الدولة السامانية ببخارى في إقليم خراسان وما وراء النهر. وكان الأمير نوح بن منصور بن سامان هو الأمير الثامن (٥) من ملوك هذه الدولة، وهو الأمير الذي دعي ابن سينا لمداواته كما سيأتي بعد (٦). وكان هناك دولة المأمونيين ولاة خوارزم الذين سميت دولتهم بالدولة الخوارزمشاهية. وهي دولة لا يعرف على وجه التحقيق اسم مؤسسها.

(١) جهار مقالة للسمرقندي. ص ١٧٦ لطيفات العلامة القزويني
(٢) عيون الأنباء حـ ٢ ص ٣
(٣) طبعة الخانجي ص ٣٦٩ — ٣٧٨ هـ
(٤) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضري بك حـ ٣ ص ٤٤٠
(٥) المصدر السابق ص ٣٤٨
(٦) عيون الأنباء حـ ٢ ص ٤ والقفطي ص ٢٧١ طبع مطبعة السعادة ٣٨٠٢

ولكن اسمها يبدأ في الظهور منذ سنة ٣٨٠ هـ — أي بعد ميلاد ابن سينا بعشر سنين — وفي عهد أميرها الثاني علي بن مأمون بن محمد بن خوارزم مشاه جاء ابن سينا من بخارى إلى جرجانية «كركانج» فأكرم الأمير وفادته، وأمر له بمشاهرة دارة تقوم بكفاية مثله (٧). وهناك كانت دولة جرجان وكان ملكها الأمير قابوس بن وشمكير الكاتب المترسل الأمير الذي قصده ابن سينا بعد خروجه من خراسان، ولكن اتفق في تلك الأثناء أن قبض على الأمير قابوس وحبس في بعض القلاع ومات هناك (٨). وكان هناك من ملوك الديلم مجد الدولة بن فخر الدولة الديلمي. ومجد الدولة هذا هو أخو شمس الدولة من ملوك همذان. وكانت الأميرة «سيدة» والدة مجد الدولة الديلمي هي المرجع في تدبير الملك، وعن رأيها يصدر الأمراء والولاة في مباشرة الأعمال (٩): وكان هناك دولة أصفهان وأميرها علاء الدولة بن كاكويه، وكان ملكا على أصفهان وملحقاتها، وحكم من سنة ٣٩٨ إلى سنة ٤٣٣. وكان أبوه خال الأميرة «سيدة» والدة مجد الدولة بن بويه الديلمي، ولهذا سمي «كاكويه» لأن الخال في لغة الديلم يسمى «كاكو» أو «كاكويه» (١٠). وعلاء الدولة هذا هو الذي اتصل به الشيخ الرئيس ابن سينا، وصار من أصحاب الحظوة عنده، وبقي في خدمته إلى آخر عمره، ولكنه لم يكن له وزيرا في يوم من الأيام (١١). أما الوزارة فكانت من ابن سينا لشمس الدولة أخي مجد الدولة؛ فقد وزر له مرتين ما بين سنتي ٤٠٥ هـ، ٤١٢ هـ.

وكان هناك — فوق ذلك — في عصر ابن سينا الدولة الغزنوية التي كان أول ملوكها «سبكتكين» سنة ٣٦٦ هـ. كما كان محمود الغزنوي — المعروف بيمين الدولة محمود بن سبكتكين — هو ثالث ملوكها. وهذا الفاتح العظيم قد أثار حروبا كثيرة في حياته وفي عصر ابن سينا بالذات. فهو فوق غزوه لبلاد الهند

(٧) جهار مقالة — طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ص ١٦٩. وعيون الأنباء. والقفطي ص ٢٧١
(٨) عيون الأنباء حـ ٢ ص ٤، والقفطي ص ٢٧١
(٩) الكامل لابن الأثير حـ ٧ ص ١٨٦
(١٠) العروضي السمرقندي ص ١٧٤
(١١) المصدر السابق ١٧٤

وفتحه لها قد حارب دولة خوارزمشاه (١٢) وملك خوارزم سنة ٤٠٧ هـ . وهي دولة انصل ابن سينا بها وبأميرها علي بن المأمون كما أسلفنا . ولم يكتف محمود الغزنوي بهذا ، بل استغل ما بين الأمراء والملوك حوله من خصومات ونزاع ، فدخل بينهم لمصلحة دولته الناشئة القوية . كما فعل في الحرب التي قامت بين سلطان الدولة البويهي وأخيه أبي الفوارس بن بهاء الدولة . وكانت محمود الغزنوي كان يستمد لافتراس هذه الدويلات المتقاطعة المتناحرة دولة بعد دولة . وكان همه بالذات متجها إلى إمارات بني بويه ، ففي سنة ٤٢٠ هـ اتجه إلى إقليم الري ، وكان عليه الأمير مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه فملكه محمود الغزنوي . كما ملك إقليم الجبل . وفي سنة ٤٢١ هـ وجه مسعود ابن يمين الدولة الغزنوي جيشا إلى إقليم همذان . أما علاء الدولة بن كاكويه — وهو الأمير الذي اتصل به ابن سينا في أصفهان — فلم يسلم من غارات الدولة الغزنوية التي دخلت جيوشها « الري » فانهزم علاء الدولة وجرح في رأسه وكتفه وهرب تاركا إقليمه في يد السلطان مسعود الغزنوي بن محمود الغزنوي (١٣)

على أن هذه لم تكن آخر حروب السلطان مسعود الغزنوي ابن محمود الغزنوي ضد علاء الدولة بن كاكويه : ففي سنة ٤٢٥ هـ — أي قبل وفاة ابن سينا بثلاث سنوات — اتفق علاء الدولة مع فرهاذ بن مرداويج على قتال عسكر السلطان مسعود الغزنوي . ولكن الحظ خان علاء الدولة حتى بعد احتمائه بالجبال الشاهقة بين أصبهان وجرباذقان . فتقدم أبو سهل الحمدوني قائد جيش الغزنوي إلى أصبهان وملكها . وفي هذه المعركة نهبت خزائن علاء الدولة بن كاكويه وأخذت أمواله الطائلة . وفي هذه المعركة بالذات كان الشيخ الرئيس ابن سينا في خدمة علاء الدولة — ولم يكن وزيراً له — فأخذت كتب الشيخ وحملت إلى غزنة — عاصمة الدولة الغزنوية — وجعلت في خزائن كتبها إلى أن أحرقت على يد عساكر الحسين الغوري (١٤)

لقد عاش ابن سينا في هذا العصر الزاخر بأحداث كبار ، ورأى بعينيه كيف كان يتقاتل الإخوة وأبناء العم على الملك والسلطان ، كما حدث بين أفراد أسرة بني بويه في الري وأصفهان وهمذان وجرجان ؛ بل اتصل من قرب بالأمير شمس الدولة بن فخر الدولة أمير همذان ، وشاهد الأحداث التي جرت له مع أقاربه بني بويه من ناحية ، ومع ملك الغزنويين من ناحية أخرى . واتصل ابن سينا أكثر من ذلك بالأمير علاء الدولة بن كاكويه ؛ وهو يتصل ببني بويه أيضاً — لأن والده « دشمنزيار » هو خال الأميرة « سيدة » والدة مجد الدولة بن فخر الدولة البويهي . وشاهد ابن سينا في أثناء اتصاله بابن كاكويه كثيراً من الأمور الجسام ، فلم تسلم مدينة من مدن العراق وفارس من ثورة أو غارة للمتحاربين المتنابذين ، بل لم تسلم أصبهان نفسها من حوادث النهب والسلب على أثر استيلاء جند السلطان مسعود الغزنوي عليها . وفي غمار هذه المعركة نهبت كتب الشيخ الرئيس ونقلت إلى غزنة ، إلى أن كتب عليها أن تحرق على يد محارب آخر من رجال الدولة الغورية

وقد لقي ابن سينا من ملوك الدول القائمة في عصره الأمير نوح بن منصور الساماني ، والأمير علي بن المأمون الخوارزمشاهي ، والأمير شمس الدولة بن فخر الدولة البويهي الديلمي ، ووزر له مرتين ، والأمير علاء الدولة بن كاكويه أمير أصبهان ، واتصل به وألف باسمه كتباً كثيرة ، ونكب معه في غارة السلطان مسعود الغزنوي على أصبهان . أما الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير ملك جرجان فيظهر من كلام الشيخ ابن سينا نفسه أنه لم يقابله ، وأنه كان يقصده ، فاتفق القبض على قابوس وحبسه في بعض القلاع ومونه . وهو نص لا يدل على لقاء الشيخ الرئيس لهذا الملك الأديب العظيم ... إلا أن العروضي السمرقندي صاحب كتاب « جهار مقالة » يذكر حادثة طريفة بارعة عن ابن سينا واستخباره أحوال بعض العاشقين واسم

(١٢) ابن الأثير حـ ٧ ص ٢٨٢
(١٣) الكامل لابن الأثير حـ ٧ ص ٣٤٨
(١٤) الكامل لابن الأثير حـ ٨ ص ٦

واحة سيـــوة

للأستاذ صبري حسن خلوان

كانت الساعة السادسة صباحا حين أخذنا عدتنا في « مرسى مطروح » مولين وجوهنا شطر سيوة ؛ تلك الجنة المخصبة وسط الصحراء الجدبة ، وكانا أمل أن ندركها قبل أن نبيت ليلة أو أكثر في جوف الصحراء الغربية . ذلك أن الرمال قد جادها الغيث الهتون وقد احتفلت نواحيه ، وأسفت أجازه وهواديه ، فشربت الصحراء بعد عطش ، وامتلأت الآبار بعد خواء ، وكونت التلاع الحادرة بحيرات كبيرة في المجتمع المنبسط الذي يصلح كطريق للسيارات !

وسرنا باسم الله ، ونحن على وجل من أن يغوص أحد إطارات السيارة في الرمال الدقيقة المتشبعة بماء المطر فتضطرنا الأحوال أن نبيت في العراء كما فعل قوم من قبلنا ظلوا في الطريق سبع عشرة ساعة . والمسافة بين « مرسى مطروح » وبين « واحة سيوة » ثلاثمائة كيلو مترا ، منها خمسة عشر كيلومترا بعد المائة ممهدة تمهيدا صالحا ، وما يتلوها فليس له معالم متميزة فهو يختلط إلا على السائق الماهر الذي جاب الطريق أكثر من مرة ، هذا عدا ما يلاقيه المسافر من صعوبات جمة لكثرة المرتفعات والمنخفضات في عرض الصحراء التي تجعل المسافر بالسيارة لا يستقر على حال ، مرة إلى أعلى وثانية يقع على جنبه الأيمن وأخرى يميل إلى يساره ، وهو في ذلك يجد من الرهق مالا يحسه إلا المسافرون . إن السيارة تقطع المسافة الممهدة في ساعتين وتقطع الباقي في عشر ساعات . هنا يطيب أن نسأل لماذا لا تنشط الحكومة في تمهيد هذا الطريق الهام فتتمه في سنة أو سنتين أو ثلاث بدلا من أن تمهد كل عام ثمانية كيلومترات فقط ، أي أنها تريد أن تتمه بعد أكثر من عشرين عاما . . إن شاء الله !

إن واحة سيوة جزء من مصر ؛ بل هي من الأجزاء المهمة من مصر كما سنرى ، أم تريد أهل هذه الواحة أن يظلوا على اعتقادهم أنهم « سيويون » قبل أن يكونوا « مصريين » . إن وصف الطريق إلى سيوة هو من أول الواجبات التي يجب على الحكومة والتي يتحتم عليها الإسراع في أدائها

وبعد ثلاثة عشر ساعة لاقينا فيها من المصاعب ما لا قينا وصلنا إلى سيوة ، وبتنا ليلتنا وأصبحنا فوجدناها جنة خضراء يرتفع في جوها النخيل فشوان ، ويسكن في جنباتها الزيتون ، لا يشربان من ماء النيل وإنما من ماء العيون . وبالواحة ما يقرب من مائة عين ، كل عين تسيل في قنوات يخضر من مائها الحجر ، ويينع الزهر ويستوي الثمر ؛ ماء عذب صاف لا تخرجه آلة ولا يجود به سحاب وإنما ينبعث من جوف الحمى . . ينضح وجه الصحراء العبوس فيبتسم ، وجهها المتقطبة فتنبسط ، وطيبتها القاسية فتلين . . يرزقها الظل وهي بنت الهجير ، ويمنحها النسيم وهي أخت العواصف ، ويسمها الجمال ومن سماتها التجهم

وتنخفض سيوة عن مستوى سطح البحر بستة عشر مترا ، ويقترب منسوب الماء من سطح الأرض ؛ فقد حفرت حفرة صغيرة عمقها خمسون سنتيمترا في الجهة البحرية من الاستراحة الحكومية فتجمع الماء في قاع الحفرة ، على حين ظهر الماء في أرض المطار الحربي الجديد على بعد أكثر من مترين . ويمكن الاستفادة بقرب مستوى منسوب الماء في زراعة بعض الفواكه

معشوقته ومحلمهـــا من نبض الريض . ويروى المروضي السمرقندي أن ابن سينا دعي إلى مداواة هذا العاشق الفضو بأمر من الملك قابوس الذي دعا الشيخ الرئيس إليه ليعالج مريضه القريب . وعلى الرغم من طرافة هذه الحكاية فإن الأستاذ محمد ابن عبد الوهاب القزويني يستنبط أن ابن سينا لم يخـــدم الملك قابوس بن وشمكير لأنه حبس قبل بلوغ ابن سينا جرجان

محمد عبد الغني حسن

مثل البطيخ حيث لا يحتاج الأمر إلى كثير جهد . ويغطى التربة فى كثير من الأماكن طبقة قشرية تنفع فيها نسبة الأملاح مما قد يحتاج إلى بعض الجهد فى استصلاحها ، إلا أن وجود العيون ومائها الذى يسيران إلى حد كبير هذه المهمة

وهناك عين جديدة يوجد حولها أكثر من مائتى فدان لا ينقصها إلا اليد العاملة والبذرة التى توضع فى الأرض ، ولكنك لو سألت ، أتاك الخبر المحزن : كل الأهالى وقلة الأيدى العاملة . إن الأهالى هناك تراهم بنية لا تستقيم . . وبدا لا تشتد . وهمة لا تطمح ، فهم يعتمدون على ما يدره النخيل والزيتون . . أما النخيل فيبيعون تمره على أنواعه ويستغنون من بعضه «المجوة» ، وأما الزيتون فهم يخللونه أو يعصرونه فى معمل الوزارة الموجود هناك ليستخرجوا منه زيت الزيتون ، أما بقية العام فهم يقعدون . . اللهم إلا قلة قليلة تزرع الشعير وهو يجود . وإنك لتلاحظ الكسل من غير ما صعوبة لو أنك طفت مرة واحدة بالكميات الضخمة من النخيل فى الحدائق المختلفة ، فلا تجد نخلة مشذبة منظمة ، بل يتكاثف سعفها من عام إلى عام ، ويحيط بها نجلها سنة بعد سنة ، وهم يحجمون عن أن يتموا النجل بحجة تستند إلى خرافة

ما السبب إذن فى ذلك الكسل المخيم ؟ إن لأسبابه جذورا عميقة تمتد إلى أكثر من التواكل . يقولون إن الشذوذ الجنسى فى الرجال شائع إلى درجة كبيرة جدا . . . ونحن لا يهمنا أن نصدق ما يقولون أو نكذبه . . وإن كان ما يقولون ينافى الفطرة ، وخاصة وأنه — كما يزعمون — أصيع من (الألوفات) فإنه أيضا لا يهمنا أن نصدق هذا الزعم أو نكذبه ؛ إنما الذى يهمنا هو هاتان الظاهرتان المخيفتان : انفراض النسل فى خطوات ليست بالبطيئة ، وانتشار الأمراض السرية إلى حوالى سبعين فى المائة كما صرح بذلك بعض المسؤولين . إن عدد السكان كان منذ عشرين عاما خمسة آلاف نسمة وهو اليوم دون ذلك بكثير !

قد يكون التزاوج المحلى هو السبب ، وقد يكون ما «يقولون» . . وما «يزعمون» هو السبب . . وقد يكون انتشار الأمراض السرية هو السبب ، وقد يكون — أخيرا — هجرة الأهالى — على قلتها — هى السبب ؛ إلا أن الذى لاشك فيه أن عدد السكان فى تناقص مستمر . . وهذا شئ كفيل بأن يتدارك المسؤولون ، أن يتتبعوا الوشائج ، وأن يتعلقوا بالأسباب ، وأن يعرفوا مركز الدائرة ثم أن يطبوا للداء ! وعندى رأى لا أشك فى فائدته : لماذا لا تعمل الحكومة — أيا كانت هذه الحكومة — على ترحيل عدد كبير من المعدمين والعاطلين إلى هذه الواحة ، وهى ان عدهم إلا بالضئيل من المونة ، حتى تندى الكف الجافة ، وتشتغل اليد العاطلة ، ولعله أن يكون فى نشاط الوافدين إذكاء لهمة الأهالى القاعدين . وإنك لتعجب إذا علمت أن المستشفى الذى يريد أن يعالج قوما نسبة المرض بهم ما رأيت ليس به دواء ولا طبيب ! ذلك أن أنوار القاهرة تغرى . . وتغنى . . وأن الحكومة المصرية لم تستطع إلى الآن أن تجند الأطباء — وهم أساة البشرية — تجنيدا دوريا فى المتلكات المصرية التى لها فى عنق مصر حق الرعاية . إنه يجب على كل طبيب موظف بالحكومة أن يقضى عاما أو نصف عام فى الواحات وما شابهها حتى لا يحرم الناس اليد التى تأسو جراح المصابين

ورسالة التعليم من أهم ما يرتقى بهذه الواحة الجميلة البائسة . إن هناك مدرسة ابتدائية واحدة بها ثلاثة فصول وثلاثة مدرسين ، والصعوبة التى تواجه التعليم هناك هى اللغة ، إذ أن للأهالى لغة محلية خاصة قريبة لا تتصل بالعربية من قريب أو بعيد ، وهناك مدرسان خاصان بالمدرسة الأولية من اهالى الواحة ويعرفان العربية يتوليان هذه المهمة . . وهى جليلة ، إلا أنهما يشكوان من معاملة الوزارة لهما لأنهما ليسا من حاملى « الشهادات » . . فتعطى أحدهما منذ سبعة عشر عاما ثلاثة جنيهات فى الشهر ! ما هكذا يكون التعليم ولا تشجيعه ! والذى لاحظته عندما زرت

المدرسة هو فصاحة اللسان العربي بعد ما يتعلمونه

ولكسل الأهالي وعدم طموحهم ، تقل الجرائم ، وإن طائرة خاصة تطير بالقاضي مرة كل شهر أو شهرين ليجلس في منصة القضاء ساعة أو ساعتين يفصل فيها بين الناس في قضايا معظمها جنح وغرامات مالية ضئيلة ، وعلى ما يكلف القاضي الحكومة من الناحية المالية فإن هذه الزيارات المتباعدة قد تقلل من هيبة المفصل القضائي في نفوس الأهلين . أحد أمرين : إما أن يعين وكيل للنيابة في سيوة يشعر الناس بهيبة القضاء ، وإما أن يترك تصريف هذه الجنح والغرامات إلى مأمور القسم وهو رجل عسكري من رجال الجيش ، يتصرف فيها محليا حتى يشعر الناس بسطوة القانون

ولسيوة ، فضلا عن الناحية الاقتصادية التي يجب أن تستغل وتستثمر ، والناحية الاجتماعية التي يجب أن يهتم بها وتستصلح ، ناحية ثالثة لا تقل أهمية عن الناحيتين السابقتين : تلك هي الناحية «الاستراتيجية» . . فهي بمائها العذب وتمرها الوافر تعد مركزا عسكريا وتموينيا هاما للجيوش مدافعة كانت أو مهاجمة ، إن قربها من الحدود المصرية الغربية يحتم على المسؤولين إما أن يدربوا رجالها تدريبا عسكريا حيا ، أو أن يزيدوا حاميتها زيادة تليق بموقعها الهام لا أن تظل على ما هي عليه : ستة عشر جنديا ورئيسهم . ولن أكون كناقل التمر إلى هجر ، فإنما يحدثك عن استراتيجيتها رجل عسكري له في الجهاد سابقات ؛ ذلكم هو اللواء محمد صالح حرب باشا ، فقد زرنا معه منطقة قريبة من سيوة اسمها « جربة » وقد استحضر الرجل العسكري ذكريات عزيزة كريمة عن المناوشات والمعارك الحربية التي قام بها الثوار الوطنيون في سنة ١٩١٤ وكان معه في ثورة الحرية السيد الشريف السنوسي « صاحب الجلالة ملك ليبيا الآن » وكيف أنه لما نفد ماؤه وزادهم وقلت ناقلاتهم ووكائبهم لم يتقذهم إلا الجمال والبلح والماء من واحة سيوة فانتصروا على الإنجليز يومها انتصارا استراتيجيا

وأظننا لا ننسى أنها كانت هدفا للألمان والطليان في الحرب الأخيرة أثناء زحفهم في الصحراء الغربية . نعم ! إن الصحراء الغربية بجفافها واتساعها تعتبر حاجزاً طبيعيا ضد إغارة المغيرين على الوطن العزيز ، ولكن هذا لا يكفي مطلقا فإنه يجب أن نحصن حدودنا الغربية تحصينا كاملا قويا ، وخاصة وأن عدونا يعسكر في « كابتزو » بالقرب من حدودنا في دولة ليبيا الجديدة

من هذا تتضح أهمية « واحة سيوة » كمنطقة هامة يجب أن لا ننسى أو نهمل ، وإنه لو صحت العزائم ، لأمكن أن نستثمر الكثير وأن نستصلح الكثير . ولعلني أكون قد وفقت أن أنقل ما أثارته في نفسي زيارة هذه الواحة التي لاح لي في صفحة جالها أثارات من الأمس ، وفي سماء صفائها ألوان من السحاب ، وفي عيونها الجميلة ، فنون من العتاب !

صبري محمد حلوان

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة . . . الخ .

من فصوله المبتكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك . . . الخ

يقع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد

عمر الخيـــام

بين الحقيقة والاسطورة

للأستاذ السيد أحمد مصطفى الخطيب

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

الأسطورة الثالثة

لو قال لنا أحد الذين يؤثرون جانب الجدل العقيم واللجاجة المقوتة ، ما بالكم قد ملأتم الدنيا ضجيجاً وعجيجاً بتحدثكم عن الخيام ورباعياته ؛ إني لأتحداكم جميعا . هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . إني أنكر أن تكون للخيام رباعية واحدة لا رباعيات تبلغ الألف والمائتين عدداً، وأرى كل ماتدعونه في هذا الخصوص ليس إلا محض وهم باطل لا يجاوز نطاق الحدس والتخمين ، فالخيام لم يترك وراءه ديوانا بخط يده ، ولم يشر إلى شعره في تآليفه العديدة ، ولم يملِ على أحد من تلامذته ما يسمى اليوم بالرباعيات ، كما أن (جهار مقاله) أقدم سفر تاريخي عثر عليه لمصنفه (نظامي عروضي سمرقندي) تلميذ الخيام الخاص لم يذكر ولا كلمة واحدة عن رباعيات أستاذه، برغم أنه زار قبره بعد وفاته ببضع سنوات فقط، وذكر أموراً في مؤلفه أقل أهمية وأضأل شأنا بكثير من الرباعيات ..

إن جميع ما يدعى ويقال بهذا الصدد إن هو إلا أسطورة جميلة وتفكير شعري بديع نسجها الوهم وزينها الخيال ، فتزاتها منزلة غيرها من الأساطير المصطنعة التي لم تقم لها قائمة إلا بعد أن مرت على موت الشاعر عدة قرون

أجل ! ماذا يكون جوابنا إن جابهنا هذا الجدلي اللجوج بمثل هذا النطق الساخر العابث ، ثم ألح علينا في عناد وإصرار أن نثبت له إثباتاً لا يتطرق إليه أي شك أن للخيام رباعيات حقيقية نرضى عن نسبتها إليه أساليب التحقيق العلمي الدقيق في عصرنا الحديث هذا ..

في الحق أننا عاجزون تمام العجز عن أن نكيل لهذا المكابر الخبيث الصاع صاعين ومن توفيته حقه الكيل كيلين ، وأن نسخر منه بنفس الطريقة التي سخر بها هو منا ، وإن كنا نملك في الوقت نفسه أدلة وبراهين لا تقبل الدحض ، ونستطيع بعرضنا إياها عليه أن نجعله يخفف من غلوائه ويقلل من خيلائه ويرتد شيئا فشيئا إلى هدوء العقل واتزانه ..

فالثابت المؤكد حتى الآن — كما يدعي صاحبنا الجدلي — أن الخيام أهمل في حياته أن يكتب سيرة نفسه بقلمه ، أو أنه كتبها ولم تصل إلينا لامتداد يد الضياع إليها ، أو أنها لم تضع ولكنها في جهة مجهولة لم تتناولها يد المحققين بعد ، غير أنه ثابت ثبوتاً قاطعا أيضا أن الخيام لم يكتب في الفارسية من الشعر سوى الرباعيات وحدها ؛ أما هل جمع كل ما كتبه من هذه الرباعيات وضمها بين دفتي كتاب خاص بنفسه ، أو أملاها على أحد من طلابه ؛ فذلك ما نحن منه في ظلام دامس حتى الآن ، وأظن الأمر سيبقى كذلك إلى الأبد إلا إذا عثر على دليل مادي يقلب المسألة رأسا على عقب ويغير مجرى البحث تغييراً تاما في يوم من الأيام ..

إن أقدم نسخة للرباعيات بين أيدينا اليوم وهي الموسومة بـ (رسالة الرباعيات) يرجع تاريخ كتابتها إلى نحو ثلاثمائة عام تقريبا بعد موت الشاعر ، وقد عثر عليها في مكتبة بودلين بأكسفورد وتسمى بنسخة السر أوسلي، وهي نسخة منقولة عن غيرها من النسخ وليست أصلا . أما من هو الناسخ الذي نقلها ؟ وعن أية نسخة نقلها ؟ وهل أن الرباعيات الواردة فيها والبالغ عددها ١٥٨ رباعية ؛ كلها للخيام ذاته أم أن هناك بينها الدخيلات والنحولات ؟ ثم كم عدد أولئك في حالة افتراضنا اندساسها بين الرباعيات الأصيلة .. كل هذه أسئلة وعلامات استفهام تدور في أذهان الباحثين والمدققين منذ أن عرف الغرب شاعر الشرق ولكن بدون جدوى ، ويعز أن يعثر لها على جواب شاف يقطع الشك باليقين والحيرة بالاطمئنان ..

على أننا رغم كل هذا يجب أن نعلم في الوقت نفسه أن المعلومات السلبية الآنفة الذكر تملؤها علينا طبيعة النطق المجرد فحسب ، وأن ثمة أموراً كثيرة نعلمها عن حياة هذا الشاعر

وشخصيته وأخلاقه وبيئته وآثاره ومؤلفاته، كما أن هناك مؤرخين معروفين، وعلماء مشهورين، وفقهاء ومتصوفين ذائعي الصيت مرموق المقام تناولوا عدداً غير قليل من رباعيات الخيام في كتبهم ومصنفاتهم وهم معاصروه بالتعليقات المتنوعة، وناقشوها مناقشة فيها اللين والهوادة تارة، والعنف والقسوة تارة أخرى، فإذا جاز لنا أن نتشكك في صحة إسناد كل الرباعيات المتداولة إلى الخيام فإنه لا يجوز لنا إطلاقاً أن نتشكك في صحة نسبة بعضها إليه على الأقل.. ذلك البعض الذي يمثل آراء وأخلاق وشخصية وظروف بيئة الخيام التي نعرفها والتي يمكن اعتبارها في عداد الحقائق التاريخية التي لا تقبل أي جدل أو نقاش

إذن يظهر أن الألف والمائتين رباعية التي تطارد الخيام اليوم هنا وهناك في الشرق والغرب وتثير حوله طوفاناً من الضجيج والصخب، ويتجمع له الأنصار والأصدقاء، وتؤلب عليه الأعداء والناقمين؛ ليست سوى أسطورة ضخمة كثيرها من الأساطير، تقابلها حقيقة متواضعة تتمثل في عدد متواضع من الرباعيات معترف بها اعترافاً كاملاً ويبلغ الأربع والثمانين رباعية فقط، وذلك استناداً إلى أصدق وأحدث البحوث العلمية في هذا الشأن حتى يومنا هذا

الأسطورة الرابعة

لم نسمع أن شاعراً أوذي في سمعته بعد موته كما أوذي الخيام أو أصابه من الاتهامات الكاذبة والافتراءات المدبرة ما أصاب هذا العبقري العظيم والأديب الفحل والنابغة الأوحد

ولو سألنا أي واحد من هؤلاء الذين سمعوا عن الخيام ولم يحققوا، وقرأوا عنه ولم يتثبتوا، أن يصف لنا شاعر الرباعيات كما يتصوره هو أو كما يصوره له الوهم بالأحرى، لما تعدى نطاق وصفه إياه عن أن الخيام كان شاعراً عابثاً لاهياً، خليعاً فاجراً، يقضي وقته متنقلاً من حانة إلى أخرى، نديمه الكأس ليل نهار، لا يفيق من سكرة إلا ليستسلم إلى أخرى؛ ثم هو على ذلك ملحد جاحد أعلن حربا شعواء على الأديان كافة، وهاجم المتعبدين والزهاد، ورسالته في الحياة: لا تفارق الخمرة حتى تموت

هذه هي الصورة الشوهاء المزيفة التي يتخيلها عدد كبير من الناس ويرسمونها على أنها صورة حقيقية للخيام

لقد كان الخيام قبل كل شيء فيلسوفاً نزيهاً وأديباً عفيفاً، يزينه الوقار ويسمو به جلال العلم على أقرانه من أهل زمانه.. وكان إلى ذلك ذكي الفؤاد متوقد القريحة، صاحب رأي؛ يجهر بالحق ويحارب الشعوذة أينما وجدت.. فلهذا جاهره بالخصومة فريق من رعاة الصوفية في زمانه، كانوا يتخذون الدين وسيلة لاغاية، فأطلقوا ألسنتهم عليه ودأبوا على نشر كل باطل عنه وإلصاق كل تهمة كاذبة به حتى لقد رموه بالكفر والإلحاد أيضاً، وكل ذلك لأنه كان يكشف عن رياهم ونفاقهم، ويعلن عن جهلهم وتعصبهم دون خوف ولا حذر

قال عنه شمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري في كتابه الموسوم بـ (نزهة الأرواح وروضة الأرواح في تواريخ الحكماء المتقدمين والمتأخرين) الذي ألفه في القرن السادس الهجري ما يلي بحروفه:

(كان الخيام عالماً بالفقه واللغة والتواريخ ... دخل ذات يوم على الوزير عبد الرازق وكان عنده إمام القراء أبو الحسن الغزالي وكانا يتكلمان في اختلاف القراء في آية.. فقال الوزير: على الخبير سقطنا. ثم سأل الخيام فذكر اختلاف القراء وعلل كل واحد منها وذكر الشواذ وعللها وفضل وجهاً واحداً. فقال الغزالي: كثر الله أمثالك في العلماء فإني ما ظننت أن أحداً يحفظ ذلك من القراء فضلاً عن واحد من الحكماء

ودخل عليه حجة الإسلام الغزالي يوماً وسأله مسألة فلكية فأطال عمر الخيام الإيضاح حتى أذن الظهر.. انتهى كلام الشهرزوري)

ومن بين مصنفات الخيام العديدة كتابه (رسالة في الجبر والمقابلة) كتبها في العربية وترجمت إلى الفرنسية وطبعت في باريس سنة ١٨٥١

٢ — كان الخيام ينزل في الرتبة الأولى من أهل زمانه، يتسابق إلى خطب وده الوزراء؛ وكان الملك سينجر يجلسه على العرش بجانبه توقيراً له، وكان متعبداً زاهداً منصرفاً إلى العلوم والتدريس، نافضاً يده من الأمور الدنيوية التي تتكالب

عليها الأطماع وتصطرع دونها الأحقاد ، وكان يلقب بحجة الحق الإمام عمر

٣ — لم يثبت إطلاقاً وعلى أى وجه أن الخيام قد ذاق الخمرة طوال حياته ولو مرة واحدة

٤ — كان الخيام طبيباً بارعاً معروفاً له المحل الأول بين أطباء عصره المشهورين

٥ — كان مدرساً جليل القدر فى نيسابور التى أنجبت عدداً كبيراً من علماء الإسلام فى العلم والأدب

٦ — كان يكتب رباعياته من حين إلى حين فى مجالس سمره وحديثه وبين خاصته ، وكانت هذه الرباعيات تنتقل من يد إلى يد كباقة من الزهر تفوح بالعطر وتعبق بالشذا ، فيدونها هذا وذاك من أصدقائه وتلامذته كتذكار أو كهدية نادرة من العالم الأكبر ، فى حواشى كتبهم وفى بطون كراريسهم

٧ — كان وصف الخمرة والإغراق فى التغنى بمزاياها (مادة) ذلك العصر بالنسبة للأدباء الفرس كما كان التغنى بـ (ليلى) و (ديار ليلى) التقليد العصرى السائد فى العهد الأموى بالنسبة للشعراء العرب

وكفى الخيام دليلا على علو منزلته وسامى مقامه ، وجليل قدره هذه الأبيات التى وجهها إليه فى مستهل إحدى رسائله الإمام أبو النصر محمد بن عبد الرحيم القسوى قاضى الديار الفارسية آنذاك وتلميذ الشيخ الرئيس أبى على بن سيناه

قال الإمام أبو نصر :

إن كنت ترعين يا ريح الصبا ذمى فاقرى السلام على العلامة الخيمى
يومى لديه تراب الأرض خاضعـــة
خضوع من يجتـدى جدوى من الحكم
فهو الحكيم الذى تسق سحائبه ماء الحياة رفات الأعظم الرمم

هذا هو الخيام الحقيق لا الأسطورى ، الخيام المجرد عن تزاويق الباطل وبهارجه ، العارى من ثوب البهتان وأصباغه

نماذج من شعر الخيام

ليس شعر الخيام كله مقصوراً على الرباعيات وحدها ، بل الثابت أنه كان يقرض الشعر فى اللغة العربية أيضا ، وله فى هذا المجال أبيات فريدة وصلت إلينا تدل على علو كعبه ، وسعة اطلاعه ورسوخ قدمه فى العربية وفنون بلاغتها ، حتى ليستحق أن يعد بحق قرناً لأعظم الشعراء العرب فى جميع العصور

فلنستمع إليه الآن فى هذه القطعة التى نظمها فى الفخر على طريقة أبى العلاء المعرى فى قصيدته المشهورة (ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل)

قال الخيام :

إذا قنعت نفسى بميسور بلغة يحصلها بالكد كفى وساعدى
أمنت تصاريف الحوادث كلها فكن يازمانى موعدى أو مواعدى
ولى فوق هام النيرين منازل وفوق مناط الفرقدين مصاعدى
أليس قضى الأفلاك فى دورها بأن تعيد إلى نحس جميع المساعد
متى مادنت دنياك كانت مصيبة فوا عجبا من ذا القريب المباعد
إذا كان محصول الحياة منية فسيان حالا كل ساع وقاعد

ويقول فى قطعة أخرى :

سبقت العالمين إلى المعالى بصائب فكرة وعلو همه
فلاح بحكمتى نور الهدى فى ليال فى الضـــلالة مدلهمه
يريد الجاحدون ليطفئوها ويأبى الله إلا أن يتمه

نكتفى بهذا القدر الآن من شعره العربى ونتنقل إلى رباعياته نفسها لنضع أمامك بعضاً منها تمثل الخيام أصدق تمثيل كما نعتقد فى تفكيره وآرائه ، وتعبر أدق تعبير عن نظراته التى كان ينظر بها إلى الحيـــاة

فهاهو ذا الآن يتحسر على فوات الشباب وذهاب ربيع العمر فى رباعية هى الدرة اللامعة والجوهرة الثمينة فى تاج الرباعيات الخيامية :

أفسوس كه نامه : جوانى طى شد
وين تازه بهار شادمانى طى شد
أن مرغ طرب كه نام أو بود شباب
فرياد ندانم كه كى آمد كى شد

الترجمة الحازنى من الإنكليزية

طوت يد الأقدار سفر الشباب وصوحت تلك الغصون الرطاب
وقد شدا طير الصبا واختفى متى أتى ؟ يالهفى ! أين غاب ؟

وهنا نراه يطالب الباري سبحانه وتعالى بحقه في دخول الجنة:

من بنده خاصم رضای تو کجاست تا ربك دلم نور صفای تو کجاست
مارا تو بهشت اگر بطاعت بخشی
آن بیع بود لطف عطای تو کجاست

الترجمة للزهاوي عن الفارسية

أنا عاص فأين منك الرضاء أنا داج فأين منك الضياء
إنما وقفك الجنان على الطاعة بيع فأين منك العطاء

وهنا يقف حائرا مشدوها أمام لغز الحياة وأسرارها السرمدية

قومي متفكر ند در مذهب دين جمعي متحيرند در شك يقين
تا كآه منادي درآيد زكمين كي بيخبرمه داه نه آنت نه أين

الترجمة للزهاوي :

فئة في اليقين والشك هاموا وفريق بالدين راموا لواذاً
وإذا صائح يقول مشيراً ليس ذاكم هو الطريق ولاذا

الترجمة للبستاني عن الفرنسية والإنكليزية .

وهنا تقلقه فكرة العذاب في يوم القيامة فيقول :

حين يارب كنت تجبل طيني عالما كنت أنت علم اليقين
كل امرئ وكنه سري الدفين
كل ما جئته فمنك بحكم منك روحي ومنك لحمي وعظمي
فلماذا يوم القيامة في النار أعاني الآلام والأهوالا

وهنا تتمثل ثورته على الظلم واحتقاره العادة :

وأجبني ووافني لاعتزال وابتعاد عن محض قيل وقال
رب قفر من المظالم خال ليس فيه عبد ولا سلطان
هو عندي المكان نعم المكان

رب كهف تأويه نفس أبي فاق قصراً طالت ذراه السحابا

وهنا : نحن من التراب وإلى التراب :

وتفور الأزهار ياذا الحبيب من ثغور سناؤها محجوب
لك قلب وفي الأديم قلوب
ضجعة اللطف فوق هذا النبات فهو نام من أكبد الناعمات
في مهود فيها السبات عميق لا مفيق منه بهن أهابا

وهنا يخاطب جاره الخزاف

أمس أبصرت جارنا الخزافا يجبل الطين كيف شاء اعتسافا
ويكيل القدار منه جزافا
وكأني أسمعت بين يديه صوت ذات مظلومة تشتكيه
آه رفقا فأنت طين وماء أيها المرء لا تسمى المذابا

وهنا يودع الحياة بقلب دام ونفس تذوب حسرات :

يا نديمي قد آن موت النديم
فاذكراني ذكرى الصديق القديم
وابكياني بدمع بنت الكروم

وبكأس الرحيق قف فوق قبري واسكب الخمر فوق عشب وزهر
فرفاقي إذ ذاك زهر وعشب وأنا الحي كان كوناً وحالا

وأخيراً تراه يقنت لربه ويستغفر ويقول :

رب رحماك ما كسبت ثوابا لا ولا كنت مستحقا عقابا
إنما قلت ما رأيت صوابا وعزائي الجميل كان الجبابا
وكفاني التوحيد ذخراً فإني لم أعد في ديني الأربابا

السيد أحمد مصطفى الخطيب

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى والطبعة الأولى للرحلات الثانية من كتاب

رحلات

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر في الباكستان

ثمن الأول ثلاثون قرشا والثاني أربعون قرشا عدا أجرة البريد

والمجلدان يطلبان من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

٢ ـ الحسن البصرى

رئيس المدرسة الفلسفية الأولى فى الإسلام

الأستاذ حسين على الداقوقى

تصوفه :

عرك الحسن البصرى أزمات فكرية متعددة ، فيقول عنه الأستاذ حلمى ضياء « أنه وافق القدريين ، فغدا مثلهم قدريا ورأى حرية الإرادة والاختيار ، ثم عدل عن هؤلاء بعد نقاش وجدل طويلين ، وشرع يتبع عبد الله بن عمر ويقفو أثره ممارساً الجبرية والقدرية معاً ، فتكونت له شخصية متميزة خاصة به فأوجد مذهباً وسطاً بين المذهبين ذلك هو مذهب الحرية الصوفية » إلا أن هذا الرأى ينبغى ألا يجرنا إلى القول بأنه لما عدل عن زمرة القدريين معناه ترك مذهب الاختيار ، لأنه فى الواقع ظل ينزع إلى المذهب نفسه ويفصح عنه بمناسبات عديدة ، وذلك مما دعا المعتزلة أن يعتبروه منهم (١)

لم يبق من آثار الحسن البصرى غير نصوص متفرقة فى طيات الكتب ، ورسائل تحملها كتب الآخرين ، مع العلم أن مواعظه العامة كانت قد جمعها طلابه أيام حياته ، ونشرت بعد وفاته من قبل حميد الطويل ، وهو الأثر الذى تطرق إلى ذكره الجاحظ فى عهده . كما نشرت من آثاره تعليقاته حول القرآن ، ورتبت من قبل عمرو بن عبيد المعتزلى بشكل تفسير وأن محاضراته المتعلقة بالأسس الأخلاقية فى القرآن جمعت باسم (مسائل) جمعها صاحبه الأشمت الحرانى . أما محاضراته غير المدونة فقد رواها تلاميذه على شكل (روايات) تروى عنه

كان الحسن ورعاً تقياً يعده الصوفية من أقطابهم ويتمثلون بحكمه وجمله ، وإذا حللنا التصوف الإسلامى إلى عناصره التى تكون منها وجدنا الحسن خير مثال لعنصر الزهد والتقوى بصفتهما الإسلامية ، وكذلك إن جاز لنا أن نقول إن الصوفية الإسلامية اتخذت لها مدارس مختلفة فى البلاد الإسلامية المختلفة كالبصرة وبغداد وخراسان وتركستان ، لأصبح الحسن البصرى دعامة مدرسة البصرة وداعية الزهد والتقوى فيها

يقول ابن تيمية بصدد البحث عن نسبة الصوفية :

« وقيل وهو المعروف ، إنه نسبة إلى لبس الصوف . فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة ، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد ، وعبد الواحد من أصحاب الحسن . وكان فى البصرة من المبالغة فى الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن فى سائر الأمصار ، ولهذا كان يقال فقه كوفى وعبادة بصرية » « وإذا عرف أن منشأ التصوف كان من البصرة وأنه كان فيها من يسلك من طريق العبادة والزهد ما له فيه اجتهاد ، كما كان فى الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم ما له فيه اجتهاد ، فهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة وهى لباس الصوف فقيل فى أحدهم صوفى ، وليس طريقهم مقيداً بلباس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به ولكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال » (٢)

والمستشرق الشهور دوزى رأى آخر حول نشأة الصوفية وعلاقة الحسن البصرى بها . فيقول « كانت فى البصرة امرأة زاهدة ورعة تقية تسمى (رابعة) ، وهى التى اعتاد حجاج العصور الوسطى زيارة قبرها الكائن على رابية تشارف القدس ، فكانت على رأى الصوفية الأوائل ، تعتريها حالات الوجد والشعور الإشراقى ، وكانت أعلى مقاماً من الحسن البصرى . ولو جاز لنا الشك فى اعتبار الحسن البصرى من أهل السنة ، لا ينكر أنه كان يحوز نقطة بدء غير التى عند التصوفة . ففى الوقت الذى يعتبر الحسن البصرى الشعور بالخوف جوهر التقوى ، يرى الصوفية عكس ذلك ، فيبدأون من نقطة المحبة ويخاصمون القدين يتخذون الخوف مبدأ لهم . وقد حدث أن سئل أحد الصوفية « من الذى يجب أن يعتبر لئيما ؟ » فأجاب « الشخص الذى يتعبد خوفاً من العقاب ورجاء الثواب » فسئل « لماذا

(١) دائرة المعارف الإسلامية مادة الحسن البصرى

(٢) ابن تيمية : الصوفية والفقراء ص ٣ ـ ١٧ الطبعة الثانية ١٣٤٨ مطبعة المنار

تعبد أنت ؟ » فقال « المحبة لحسن » (٢)

بيد أن الظاهر — والله الحقيقة — يدل على أن التصوف الإسلامي أيام الحسن كان متمثلا في الزهد والتقوى فقط ، وهما العنصران الأساسيان في التصوف ، أو بالأحرى هما الأساس له ، إذ لم تكن العناصر الأخرى كالأفلاطونية الحديثة وغيرها قد دخلت فيه بعد . فالتصوف في هذا العهد كان في بداية نشأته وأوائل تأسيسه بشكل بسيط غير مشوب بالشوائب الأخرى التي اختلطت به فيما بعد . أما فيما يتعلق برابعة العدوية فلا يزال الشك يحوم حول صحة نسبة جميع الأقوال والأبيات الشعرية المنسوبة إليها (٤) فإن هذه الأقوال بحد ذاتها من حيث مبناها ومعناها تثير ريبة كل باحث ملم بثقافة ذلك العصر .

إن هذا الرأي هو الآخر ليتضح للقارئ الكريم بكل جلاء في استعراضنا وتحليلنا مبادئ الحسن البصري الصوفية ، في الفقرات التالية :

إن نقطة البداية عند الحسن في هذا الباب هي استصغار هذه الدنيا الفانية الزائلة التي استصغرها الله ورسوله . ونجد في رسالته التي بعثها إلى عمر بن عبدالعزيز يقول : « أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل (٥) » وكذلك يرى أن الله كلف المتقين (أهل الانقطاع) أن ينتهجوا ثلاثة مسالك : الأمل ، والأجل ، والسحر . ومعنى ذلك أن يكونوا في حالة الأمل ، وأن يدور في خلدهم الأجل في كل آن ، وأن يقضوا السحر أو الليل بالفكر ، تلك الخصال الحميدة التي تميزهم عن سواهم من الناس الذين يضيعون آمالهم ، ويستقدمون بالأجل عند مواقاة المنية لهم ، والليالي التي يقتضي قضاؤها بالتفكير فهم يقضونها من غير تفكير . إن قاعدة الحياة عند الحسن البصري ليست بمجرد الحيطة والتجنب ، ولا بمجرد الورع والتقوى والابتعاد عن المنكرات الخلقية وما شاكلها ، إنما هي قبل كل شيء عبارة عن الزهد والخشوع لله ، والتفرغ التام عن كل العالم ، وعن كل ما هو فان ، وهذا معناه أن يكون الإنسان تجاه نفسه في حالة حزن دائم . ويروى أنه لم يضحك أربعين سنة ، وكان في حزنه كما قال يونس بن عبيد الله الحسن : كان إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه ، وإذا جلس فكأنه أسير قد أمر بضرب عنقه . كان إذا ذكرت النار عنده فكأنها لم تخلق إلا له (٦)

ومن أقواله التي يستشف منها اتجاهه في تصوفه : قال : إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بترك ما تشتهون . ولا تدركون ما تؤملون إلا بالصبر على ما تكرهون (٧) . قال عيسى بن عمر : سمعنا الحسن يقول : اقدعوا هذه النفوس فإنها طلعة ، واعصوها فإنكم إن أطعتموها تنزع بكم إلى شر غاية ، وحادثوها بالذكر فإنها سريعة الدثور (٨)

وكان يقول : ذهبت المعارف وبقيت المناكر ومن ثق من المسلمين فهو مغموم ويقول : ما من وسواس نبذ فهو من إبليس ، وما كان فيه إلحاح فهو من النفس . فيستعان عليه بالصوم والصلاة والرياضة ، وإذا أراد الله بعبد خيرا في الدنيا لم يشغله بعبد ولا ولد ... ومن لبس الصوف تواضعا لله عز وجل زاده نورا في بصره وقلبه (٩)

إن أساس الدين عند الحسن هو التقوى والحزن ، وبإيهما في ذلك الخوف . وقد لعبت فكرة الخوف دوراً هاما في تصوف الحسن ، فهي التي تيسر الفناء إزاء المطلق ، والذوبان فيه ، ولا شيء يطهر الإيمان كما يطهره الخوف . وقد ذكر في سياق رسالته إلى عمر بن عبد العزيز : أدمن الجوع ، وشعاري الخوف . ولباسي الصوف ، ودابتي رجلي ، وسراجي بالليل القمر ، وصلايتي في الشتاء الشمس ، وفاكهتي وريحاني ما أنبت الأرض للسباع والأنعام (١٠)

وكان يردد ما مفهومه : إن الخوف والرجاء دعامتان يستند إليهما المؤمن على أن يكون الخوف عنده أقوى من الرجاء ، لأن

(٣) راجع مبحث نشأة التصوف والاعتزال في كتابه من تاريخ الإسلام

(٤) نيكلسون : في التصوف الإسلامي ص ٧٠ من الترجمة العربية

(٥) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٥ طبعة السندوبي

(٦) قوت القلوب ج ٤ ص ١٨٣ ، وكتاب التصوف وفريد الدين العطار لنزاد ص ٢١

(٧) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٠٨

(٨) نفس المرجع ص ٢٤٠

(٩) الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٢٥ مطبعة محمد الحلبي بمصر

(١٠) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ ص ١٣٢

الرجاء عند ما يغلب الخوف يفضى إلى فساد القلب ، وبواسطة الخوف ذاته نستطيع أن نتبين عجز المتناهى ، والفناء فى داخل اللامتناهى . ذلك أن الشعور بالعجز يكشف بتضاد جدلى (ديالكتيكى) عن ماهية القدرة ، وبهذه الطريقة نفسها يمكن الإسناد إلى كلام الله ، وهذا هو ما يدعى بـ (الاستماع) وبعد ما يمر الإنسان بهذه الحالات الروحية يفهم القرآن . ومن هذه الناحية يكون الحسن البصرى واضع أساس علم النفس الصوفى أى (علم القلوب) . ومن ثم يدخل فى تحليل الحالات الداخلية للانسان ، وإن التعاريف التى أوردها بصدد محاسبة الطوية والضمير Examen de conscience ، كأنها قد أعدت مفاهيم الحارث المحاسبى فى هذا المجال . وقد دعا الإنسان إلى أن يوجه نظراته إلى داخل نفسه ، ويتأمل ، لأن التأمل هو مرآة تتجلى فيها للمرء ما فى الإنسان من محاسن ومساوئ ، وهو يسيطر على نفسه بالتأمل ، وأن سمة روحه هى سمة تأمله — وهى عبارات يتذكرها الإنسان عند ما يلاحظ علم النفس عند Emerson

إن آثار هذه الواعظ لم تبق مقصورة على النطاق الأخلاق والأدبى فحسب ، إنما عملت على توسيع المفهوم الإسلامى والفلسفة فى وقت واحد . فأصبحت شخصية الإنسان لا تفهم كمجرد شئ قائم على الأعضاء والملكات الروحية فقط — أى أن شخصية الإنسان تبعا لهذا المفهوم ليست من أثر التركيب وحده ، بل إنها تظهر قلبا كليا ناميا متطورا ، وهذه هى بداية المذهب الروحى الإسلامى Spiritualism الذى توسع فيما بعد على أيدى المتصوفة الروحيين

تطرق الحسن البصرى إلى مسألة خلق الأفعال البشرية ، ورأى أن الله فوض للانسان أفعاله الحرة ، وهذا يعنى أن الله وهب الإنسان الفيض والاستعداد لاستطاعته القيام بهذه الأفعال ، وهذا هو منشأ مذهب الاتفاقية Occasionalisme بينما يرى المعتزلة مقابل ذلك نظرية التولد ، أى أنهم يأخذون بالنظرية القائلة : إن الله يوجد الأفعال فى الإنسان ، ولكنه يوجد كل فعل على حده . لذلك كانت نظرية الحسن مغايرة لمفهوم الإرادة الجزئية عند المعتزلة ، وهى فى الوقت نفسه مغايرة للمذهب الجبرى Fatalism عند الجبريين ، فنظرية الحسن والحالة هذه تقول بالحرية على أن تكون مرتبطة بيقين إلهى

وختاما لتصوف الحسن البصرى ينبغى ألا يغرب عن البال أن أول اتصال بين الصوفية ونظام الفتوة تم فى دائرة الحسن البصرى ، حيث كان الحسن نفسه يعرف بـ (الفتى) أحيانا وبـ (سيد الفتيان) أحيانا أخرى (١١)

ثقافته العامة وصلاته الاجتماعية

كان الحسن أستاذ أهل البصرة ، وبدرهم الطالع ، يقول عنه ابن سعد : كان الحسن « جامعا عالما عاليا رفيعا فقيها ثقة مأمونا عابدا ناسكا كبير العلم ، فصيحا جميلا وسيما (١٢) » قال ثابت بن قرة الصابئ « ما أحسد هذه الأمة العربية إلا على ثلاثة أنفس : عمر بن الخطاب فى سياسته ، والحسن البصرى فى علمه وورعه ، والجاحظ فى فصاحته وبيانه (١٣) ويروى عن الربيع ابن أنس بأنه اختلف إلى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله ما من يوم إلا يسمع منه ما لم يسمعه قبله (١٤)

لم يكن الحسن مختصا بعلم من العلوم أو بفن من الفنون ؛ إنما كان متفضلا بثقافة عصره ، تطرق إلى المعارف المختلفة التى آذنت بالازدهار فى محيط الإسلام . فقد وجه تعاليمه إلى عقول سامعيه لا إلى خيالهم ، وبذلك أسس فى الإسلام طريقة للتفكير تتعلق مباشرة بأوليات الفلسفة (١٥) بحيث يمكننا أن نقول إن أول مدرسة فلسفية نشأت فى الإسلام كانت فى البصرة برئاسة الحسن البصرى . كذلك كانت مواعظه رائعة تعمل فى تكوين العقيدة وعلم أصول الدين واللاهوت (١٦) ويذكر له ابن النديم مصنفا فى التفسير ، وله أيضا كتابات فى الشروح القرآنية ، وقراءاته القرآنية مشهورة (١٧) وله مكانته فى تطور النحو وعلم

(١١) أبو العلا عفيفى : الملامتية والصوفية وأهل الفتوة
(١٢) طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٠ طبع ليدن
(١٣) معجم الأدباء لياقوت ج ١٦ ص ٩٥ — ٩٦
(١٤) تهذيب الأسماء للنووى ج ١ ص ١٦٢ طبعة مصر
(١٥) جولدشون : نفس المرجع ص ٩
(١٦) : نفس المرجع ونفس الصفحة
(١٧) الأنبارى : الانصاف فى مسائل الخلاف ج ١ ، ج ٢ أشار إليها عدة مرات ، اطلب الفهرست

الكلام وخاصة في الفقه . فقد دعا إلى التفقه بالدين (١٨) ، وفي له مصنف ، لعله كان في الفقه باسم (الإخلاص) ورد ذكره في أخبار الحلاج المفكر الصوفي المشهور (١٩) ولا نكون مغالين إذا قلنا إن له فضلا عظيما في تقدم الفقه الإسلامي وتوسيع نطاقه، فقد سئل أنس بن مالك عن مسألة فقال : سلوا مولانا الحسن (٢٠) وذكر عنه قتادة وقال : ما جالست فقيها إلا رأيت فضل الحسن عليه ، وقال أيضا : ما رأت عيناي أفقه من الحسن (٢١) وقال بكر بن عبد الله : الحسن أفقه من رأينا ومناقبه كثيرة مشهورة (٢٢) ودرج أبو إسحق الشيرازي في طبقات الفقهاء عددا يسيرا من تراجم أصحاب الحسن وطلابه الفقهاء . فلا عجب والحالة هذه إذا ما وصفه المستشرق المبروف برارن في بحثه عن نشأة الاعتزال بالفقيه الشهور . أما في مجال البيان فكان يشبه رؤبة بن العجاج (٢٣) فقد كان الحسن حقا أحد فصحاء الإسلام وبلغائه ، وكان طلقا لبقا ، يحذق الحديث وفن الخطاب ، حسن البديهة والارتجال. وقيل للحجاج من أخطب الناس قال: صاحب العمامة السوداء يعني أخصاص البصرة يعني الحسن (٢٤) وقال الغزالي : كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء وأقربهم هديا من الصحابة (٢٥) وكان قصاصا يعد من أفاضل القصاص وأصدقهم ، يستخرج العظة مما يقع حوله من حوادث (٢٦) يجلس في آخر المسجد وحوله حلقته ، حيث كان نظام التدريس العالي آنذاك يجري على شكل حلقات المحاضرة والمناظرة

لم يسلم الحسن البصري — كما مر بنا — من انتقادات وجهت إليه في أيام حياته ، فقد تهجم عليه الشيعة الإماميون والخوارج لأنه وقف على الحياد من موقعة صفين، إلا أنه مع ذلك ظل يعتبر بين الناس رئيس الصوفية الكلاسيكية ، ومربيا لعدد من المنزلة الميالين إلى التصوف ، كما تبعه بعض المحدثين من أهل السنة، وانتهت كل الحلات عليه بموته ، وأثنى عليه الشيعة في بعض الأحيان وذكروا مآثره (٢٧) ومن ثم لا نستغرب من رواية ابن خلكان بأن أهل البصرة كلهم تبعوا جنازته بحيث لم يبق في المسجد من يصلي صلاة العصر . وكانت وفاته ١١٠ هـ (٢٨) ودفن في البصرة القديمة ، وقبره الآن بجانب قبر ابن سيرين مزار لمختلف الفرق الإسلامية

(١٨) الطوسي : كتاب اللمع في التصوف ص ١٤٢ في سلسلة ليدن ١٩١٤

(١٩) راجع:
(أ) الخوانساري : روضات الجنات ص ٣٠٩ طبعة إيران في مادة الحسن البصري . وحسين الحلاج
(ب) أحمد بن الخياط الوصلي : ترجمة الأولياء في الوصل الحدباء . مخطوط في مكتبة مديرية الآثار القديمة العراقية . وترجم فيه أولياء الوصل وأهداه إلى الوزير نجيب باشا

(٢٠) الشيرازي : طبقات الفقهاء ص ٦٨ طبعة بغداد سنة ١٣٥٦ هـ

(٢١) ابن كثير في البداية والنهاية ج ٩ ص ٢٦٦ — ٢٦٧ مطبعة السعادة

(٢٢) الشيرازي : نفس الصفحة من نفس المرجع

(٢٣) المعارف لابن قتيبة ص ٤٩٤

(٢٤) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٢٦

(٢٥) الأعلام للزركلي مادة الحسن

(٢٦) بطل الإسلام لأحمد أمين ص ١٩٨

(٢٧) أمالي الشريف المرتضى جـ ١ ص ١٠٦ — ١١٢

(٢٨) ابن خلكان جـ ١ ص ١٢٩ المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٠ هـ

حسين علي الرافعي

السلاح الجوي الملكي

يعلن السلاح الجوي الملكي أنه تقرر تأجيل فتح مظاريف المناقصة العامة الخاصة بالعربات المختلفة اللازمة له لتفتح يوم ١٠ مايو سنة ١٩٥٢ بدلا من يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٥٢ وما زالت شروط المناقصة تباع لدى إدارة العقود والمشتريات برئاسة السلاح الجوي الملكي ١٠٨٧

بعد عشرين قرنا

حضارة عربية
تنكشف عنها الرمال

الأستاذ وندل فيلبس
رئيس البعثة الأثرية الأمريكية

كان الأمر على جانب من الخطورة ، فالعربي في جنوب الجزيرة لايتردد عن قتل من يسوق سيارة من سيارات النقل ، إذا تصور أن تلك السيارة ستنتزع منه ومن بعيره رزقهما من نقل البضائع . لقد حذرونا قبل السفر بأن نكون يقظين لأولئك الذين قد يتربصون لنا خلف الصخور .

إن اكتشاف الزيت في شمال الجزيرة العربية قد أزاح الإبل عن العمل في نقل البضائع إزاحة تامة . وهي بالنسبة لأصحاب الإبل نكبة اقتصادية فادحة . فليس في وسع القسم الأكبر من عرب جنوب الجزيرة شراء سيارات لنقل البضائع نظراً لفداحة أثمانها ، دع عنك تكاليف صيانتها وحفظها ، فالسيارات لاتستطيع العيش كما تعيش الإبل على الكلأ والأشواك ، والسير يوماً بعد يوم من غير ماء . ولا أن تغدو طعاماً ووبراً للحياكة ، وما ينتهي أمرها كحيوانات للنقل . ولذلك فإن النظام الجديد في عدن لا يستفيد منه سوى القتدرين . أما أصحاب الإبل الذين لم يتأثروا بعد تأثراً يذكر بمزاحمة السيارات لهم فما زالوا مستعدين للكفاح في سبيل البقاء

ولكن الخطر الأكبر في طريقنا كامن في الخلاف بين اليمن والإنجليز على الحدود ، فقد جاءني كتاب من المصادر اليمنية الرسمية قبل حين جاء فيه :

« يجب الالتفات إلى أن حوادث « الغنف » التي تقع في المناطق الجنوبية من اليمن ، قد أثارت الأهالي في تلك الناحية . بحيث قد يصبح السفر خطراً في بعض الأجزاء النائية منها »

ومرنا من عدن التي جئتها من لندن طائراً خلف سفينتنا ، بعد السير بمحاذاة ساحل حضرموت البعيد . وحضرموت ميناء بحري يمن في القدم تبدو — كشأن الفجريات — جميلة على البعد . أما وقد اقتربنا منها ، فإن الأبنية التي كانت تشرق في أشعة الشمس على حافة البحر الأزرق من بعيد ، أخذت تبدو لنا الآن قاتمة على القرب ، والأبخرة العفنة المتصاعدة من أرجاء المدينة تزحم هواء البحر النقي بروائحها الكريهة

واقتربت نحونا ، في كسل ، بعض السفن العربية الهبيطة تدفعها مجاديف توتيها من العرب . فابتدأت من تلك الساعة مهمتنا الشاقة في الاحتفاظ بسياراتنا على ظهرها حتى نصل بها إلى الساحل . إن ثبات هذه السفن الشراعية على وجه الماء كثبات الزوارق المصنوعة من لحاء الشجر ، حتى لقد كدنا نفقد إحدى سياراتنا ، فقد اندفعت على حين غرة من جانب من السفينة إلى الجانب الآخر فقطعت الأمراس التي كانت تشدها ، وبدأت تميل بالسفينة لو لم يتدارك أحدهم بحبل ثم رفعناها بالآلة الرافعة

وكانت الحواجز التي تحتم على ذلك النهار إزالتها من الطريق في الجرك أبلغ خطراً . فقد كانت السلطات المدنية تدرس مشروعاً لشق الطرق في البلاد ، فطالبوا منا المساهمة في تمويل المشروع لقاء السماح لنا بالدخول

قلت موجهاً حديثي لجيهان خان الهندي ، سكرتير المالية لحكومة المكلا : « لابأس ! فكم تريدون ؟ »

فأجاب بلغة إنجليزية فصيحة : « أعتقد أن ١٦،٢٠٠ جنيهاً إنجليزية كافية »

فنظرت إلى رفيق شاراس النجمي وقلت : « معنى ذلك ٥٠٠٠٠٠ دولار أمريكي إننا لا نملك هذا المبلغ ، فما يريد أن يفعل به ؟ أيريد أن يوفد بعثة أخرى من قبله بذلك المبلغ كله ؟ »

فضحك النجمي ، وتوصلنا بعد سويعات إلى حل مرض ، فإن حكومة المكلا يرضيها أن نقدم لها هراسة بخارية أو ممهدة للطرق . ومع ذلك فلم يكن لدى أي واحدة منها في ذلك الحين . فقنع جيهان خان بتعهد كتابي مني . ويسعدني القول أنني استطعت تحقيق ما جاء في هذا الفصل بفضل هذا التعهد . ثم تشرفنا بعد

الظهر من ذلك اليوم ، وكان يوم الأحد ، زيارة صاحب السمو السيد صالح صالح بن غالب القعيطي . سلطان الشحر والمكلا ، وأكبر زعماء الجانب الشرقي من الحمية ، فدعانا للعشاء على مائدته تلك الليلة . ولن أنسى ما حييت ، وقوفي إلى جانب سموه أقدم له أفراد البعثة . إن السلطان شديد الاهتمام بالشؤون العالمية ، وهو يتكلم الانجليزية ويؤلف في الفلسفة ، والعلم ، والدين ، ويحب الأدوات الحديثة ، وقد جهز قصره بالنور الفلوريسيني . وبمسجل الأصوات . ولما كنت جالساً بجانب سموه على مائدة الطعام ، كان سؤاله الأول موجهاً إلي ، وقد نزل على رأسي ، فقد أراد أن يعرف ، من بين الأشياء جميعها ، الثقل النوعي لأحديث معدن تصنع منه الطائرات النفاثة . فهتفت : « بنرى » محيلا عليه السؤال ، فهو وحده من بيننا على علم بمثل هذه الأمور

وابتدأنا بالسفر غداة يوم الإثنين ٢٠ فبراير مبكرين ، وعند الظهر اندفعت قافلتنا من بوابة المدينة وبدأت تتسلق المرتفعات متغلغلة في داخل البلاد

كان طريقنا يتجه نحو الشمال إلى وادي حضرموت فوق سلسلة من النجود العالية تسمى « الجول » ومن هناك نسير محاذين لطرف الصحراء الجنوبي حتى رملة الصباطين ثم نتجه غرباً حتى نصل إلى الطرف الجنوبي من وادي بيحان

صورة تحت رمال الصحراء

إن رملة الصباطين بحر مثلث مترامي الأطراف من الرمال الصريحة ، زرعت على سواحله الصخرية يوماً ما ، ثلاث من ممالك جنوب الجزيرة العربية الأربع — معين في الشمال ، وحضرموت في الشرق ، وسبأ وقطبان في الجنوب . وقد قامت مدينة مأرب عاصمة سبأ في الزاوية الشمالية الغربية من هذه الأرض التي ليس لأحد سلطان عليها ، كما قامت « تمنع » في الزاوية الجنوبية الغربية منها . وكلتا المدينتين الآن تحت الرمال التي تذروها الرياح في كل ناحية وصوب في الجزيرة العربية المعاصرة القليلة المياه

منذ نهاية العصور الرومانية حوالي عام ٥٠٠ قبل الميلاد عندما جاء الأحباش المسيحيون إلى حضرموت ، ثم تلاهم المسلمون المتحمسون للقضاء على الوثنية ، حتى عام ١٩٢٠ ، لم يتعد عدد من زار حضرموت من الأوربيين ستة أشخاص ، ولم يقدر لبعثة أمريكية منظمة قبلنا أن ترى حضرموت أو وادي بيحان الثاني

تبلغ مساحة حضرموت حوالي ٤٠٠ ميل طولا ، ويحدها عدد من النجود المكونة من الحجارة الكلسية التي تعلو في السماء البيضاء الصافية آلافاً من الأقدام . إن حضرموت شحيحة الأمطار ، وعندما تمطر السماء فيها ، فإنها تقرع نغمها فوق الجبال ، فتتجمع المياه هناك أولا على هيئة غدران فجداول ثم تصبح في النهاية سيولا جارفة ، تتدفق من أعلى الهضاب مدوية في الوديان ، كاسحة أمامها ما يقع في طريقها

وكنا خلال اجتيازنا الجول المرتفع القارس في منتهى الحذر خوفا من أولئك العرب الذين يكرهون سيارات النقل أشد الكره .. فكان مبارك عبدالله ضابط حرس القافلة .. يرتب سياراتنا كل ليلة على هيئة مربع مجوف كما تفعل طلائع الجيوش بسياراتها ومدافعها الرشاشة المتحركة

لقد حسبنا في اليوم الثالث أننا مشرفون على الوقوع في المشاكل ، فطريق السيارات في الجول لا يتسع لأكثر من سيارة واحدة ، وكانا جانبا الطريق مليئين بالصخور الصلدة العظيمة . كنت أسوق سيارة القيادة ، وهي من نوع السيارات التي تستعمل في الاستكشافات الحربية ، فشاهدت أمامي سحابة من الغبار ثم انجلت بعد حين عن سيارتين من سيارات مكافحة الجراد الذي يكثر في الجزيرة العربية . إنه يتدلى من الشجيرات كالعناقيد فيلتقطه العرب منها كالتوت ، ويدسونه في أفواههم وهو لا يزال حيا يرفس برجله

ووقفت السيارتان أمامي ، وقفز منهما أربعة من العرب يتنكبون بنادقهم . كان الأستاذ (أولبرايت) معي فأمرونا بواسطته أن نخلي الطريق لهم من سياراتنا . فقلت لهم إني لا أرى ما يبرر إخراج ١٦ سيارة من الطريق من أجل سيارتين . فرفع أحدهم بندقيته ، ومرت لحظة من الزمن كنت أسائل نفسي فيها : « أهذه هي النهاية ؟ » ثم سمعت مبارك عبد الله يقول

بصوت مرتفع ، وهو يقفز من سيارته وكانت قد توقفت فى تلك اللحظة خلف سيارتنا .

« مع تلك البندقية جانبا » فأنزل الرجل بندقيته ، وقال : « من أنتم ؟ »

فأجابه مبارك : « أنا الضابط مبارك عبد الله . وإذا لم تتنحوا عن الطريق ألهبت رؤوسكم بالرصاص » . فأطاع الرجال وتنحوا انا عن الطريق بخفة

عندما قتل ضيف

إن لمبارك شهرة واسعة فى حضر موت . فقد أرسل ذات مرة ضيفا إلى إحدى حفلات الزواج فى حى عمه ، فقتل الضيف . فلما بلغ النبأ مباركا ، اشترى بندقية جديدة ، ومقدارا من الرصاص ، وتوجه ليثأر لشرفه طبقا لما تخوله التقاليد القبلية من الحقوق . وبعد سنة كاملة استطاع أن يريح ضميره مرة أخرى بعد أن قتل ثلاثة من أفراد عائلته كانوا مسئولين عن إراقة دم ضيفه

كان مبارك يركب دائما بجانب « جلادس » ، ومع أنها كانت رائدتنا فطالما توارت عن أنظارنا عند منعطفات الطرق أو فوق التلاع . ولكنى ما كنت أقلق عليها لوثوقى من سلامتها ما دام مبارك بجانبها على قيد الحياة . فقد كان شديد الإعجاب بقيادتها للسيارة . فالعربى ينظر لمن يسوق سيارة أو يطير طيارة بالإعجاب والإكبار . و« جلادس » كانت هائلة سواء أمام عجلة السيارة أو قيادة الطائرة

ففى غضون الرحلة التى قمت بها قبل سنتين منتدبا من جامعة كاليفورنيا كانت جلادس تقود سيارة من سيارات الحمل من القاهرة إلى مدينة الكاب وهى مسافة تقرب من ٥٠٠٠ ميل . وفى العام المنصرم سجلت رقما قياسيا فى الشرق الأوسط بقيامها بست رحلات فى غضون ١٠ أيام من القاهرة إلى جبل سينا . وقد رافقتها « جيفرس كافرى » السفير الأمريكى فى القاهرة فى إحدى تلك الرحلات ، فلم يستطع احتمالها ، فإنها لتمرسها بالأسفار فى الصحراء كانت تتغلب على ما يعترض سبيلها من العقبات ، ومع ذلك فقد كانت عنايتها مضاعفة بحيث لم ينفجر ولا إطار واحد من أطر السيارات أو ينكسر محور واحد فى الطريق الصخرية إلى بيحان . وهى مهارة لم أكن أتوقعها

كانت سيارتها تتقدم القافلة دائما ، بينما كنت أتنقل فى سيارة من سيارات الاستكشاف بين أضلاع الوديان ومتون الصخور ، فقد كان تخصصى العلمى الأول هو الإحاثة فكانت تستهوينى التشكيلات الجيولوجية الظاهرة العجيبة ، وبعضها يعود إلى الزمن الذى لم تكن فيه الأرض سوى كرة صخرية جرداء تلفحها الرياح

كنت فى المقدمة عندما تراءت انا « شيبام » مدينة الأبنية العالية والخصومات . فحينما بلغت بسيارتى قمة إحدى الهضاب ، وبدا منظر المدينة منبسطا أمامى على حين غرة ، كان الوقت ظهرا والحرارة محرقة ، حتى أن الإعياء كان قد أخذ مأخذه من حراستنا فلاظ الأجسام . كانت الصحراء ترقص أمام أنظارنا فى بهر الشمس ، وأبراج المدينة تبدو كأنها معلقة فى الهواء العائم تشدها خيوط من الفضة فوق الرمال

تسمى شيبام شيكاغو حضر موت ، لا لسبب سوى أن أبنيتها أعلى مافى البلاد ، فبعضها يعلو الأسوار التى تحيط بالمدينة وتحميها من هجمات قبائل الصحراء بـ ٩ أو ١٠ طبقات . والبلد قسمان : سكان المدن المستقرون ، وسكان الصحراء المتنقلون

وليس ما يميز تلك الأبنية من المضى فى الارتفاع سوى عدم سلامة الطين الذى يخلط بالقش « التبن » وبعر الإبل ، ويسلح بدعائم من الخشب . فإن العلو زيادة فى الاحتراس وليس من الضرورى لرخص مواد البناء فى شيبام . فكلما علت مرتفعا بالمعنى المادى ، سبقت فى رؤية اقتراب الأعداء

لقد سمعت قصصا عن شيبام وهى من أفظع ما شهدته بلاد العرب من الميادين الحربية الدامية ، فقد كانت ميدانا للكفاح من أجل السيطرة استمر قرنا كاملا بين قبيلتين عربيتين كبيرتين هما القعيطيون الذين انتصروا فى النهاية ، والكثيريون الذين فقدوا السلطة هناك . وهذا طرف من تلك القصص :

لسبب لا نعرفه الآن أجاز السلطان منصور حاكم شيبام الكثيرى سنة ١٨٣٠ للقعيطيين شراء قسم كبير من أملاك

المدينة، فلما استقر بهم المقام ساءت نية منصور وأخذ ينظر إلى الطارئين الجدد كمتعدين ، وبدأ يعمل فيهم السيف . هذه هي البداية . ثم ارتحل قسم من الكثيريين وعادوا بجيش اضطر معه منصور في النهاية إلى تقسيم شيبام بينه وبين الكثيريين

واستمر الهدوء حيناً من الزمان حتى بدأ منصور ، الحول القلب الذي لا يستقر على حال يتطلع للقتال ، فسولت له نفسه أن يمكر بالقميطيين فيدعو ثلاثمائة من كبارهم إلى العشاء . وكان البارود من ضمن الطعام . ولكن الخدعة لم تنطل على أحد . فإن الثلاثمائة قميطي الذين كان يرمي إلى استئصالهم ، جاءوا مع عدد كبير من الأتباع أكبر مما كان يقدر . فعاد الكفاح سيرته الأولى من جديد . ودارت الدائرة في النهاية عليه ، فشق حلقه من الأذن إلى الأذن ، وابتدأ من ذلك الحين استئصال ما بقي من الكثيريين في القاطمة في تصميم ورويه ، من غير رحمة أو شفقة ، حتى كادوا يقضون على بكرة أبيهم ، إلى أن جاء ما يسمى بصلح أنغرام قبل بضع سنين فوضع الإنجليز به حداً للقتل المنظم . لم يكن المرء ليأمن على نفسه بأن يمشي أو يركب منفرداً في شيبام نهاراً . وكان بيت كل إنسان حصنه . وإذا كنت فقيراً فإنك تقتل أعداءك بنفسك . أما إذا كنت غنياً فإنك تستأجر من يتولى قتلهم عنك . وكان القتلة دائماً ينالون جزاءهم إما مالاً أو قتلاً ، وأحياناً مالاً وقتلاً . وعند ما يصل إغناء عائلة من العائلات حداً بعيداً ، فإن المتلوين يحاولون عادة حسم الأمور بينهم وبين المنتصرين ، فيهيئون وليمة كبيرة ، وكجزء من الوليمة يحاولون الاتفاق على تأدية ديات القتلى ، وبذلك تذوب في بعض الأحيان ثروات بعض العائلات قبل أن يتم تسديد الديات

وبالرغم من وجود مبارك الذي يتولى حمايتنا أثناء رحلتنا إلى يهجان، فقد انتابني فزع شديد ذات يوم مرتين. الأولى بسبب جلادس، وبعد ذلك مباشرة بسبب البعثة كلها . كنا قد تجاوزنا شيبام ، ووصلنا إلى قلعة منفردة في بئر عسكر . وكان علينا أن نقضي الليل هناك

وبينما كنا نغادر سيارتنا ، التف حول جلادس ما يقارب عشرين امرأة كن قد جئن بابل القبيلة إلى بئر عسكر . فأخذن في شد مئزر فلادس الغريب الهيئة الأبيض الفضفاض ، وهن يتدافعن للاقتراب منها . فأفزعني تدافعهن ، ولكني عندما هرعت نحوها ارتحن لما لاحظت أنهن كن لطيفات ، وأن فضولهن كان وديا بالرغم من خشونته . وكانت فلادس تبدو في أول الأمر مندهشة ، ولكنها أخذت تضحك بعد ذلك ، فأخذن في الابتعاد عنها نوعاً ما ، وهن يؤلفن حلقة متراصة حولها ، وتركز إحداهن الأخرى ويتطلعن إليها ويتهامسن على ذات الشعر الذهبي

ثم ارتفع على حين غرة صوت إطلاق الرصاص ناحية وادي حضرموت الرملي . إنه العلامة المتوقعة للخطر الذي كنا في انتظاره منذ أن غادرنا المكلا ، فتطلعت مجلا نحو مصدر الصوت ثم أسرعت إلى بندقيتي لأني استطعت أن أشاهد على البعد سحابة من الغبار وفي وسطها دون شك بعض الرجال الأشداء على ظهور إبلهم

ع . ت

(الرسالة) نقلت شركات البرق أن الأستاذ وندل فيلبس كاتب هذا المقال قد فرهو وبعثته من اليمن إلى عدن . وظل فرار هذه البعثة حديث الناس في كل مكان، يظنون فيه الظنون، ويتلمسون له الأسباب. وقد قال مكاتب (المصري) في عدن من رسالة بعث بها إلى جريدته في الخامس عشر من هذا الشهر: «قمت بتحري الأسباب التي حملت حكومة جلالة ملك اليمن على إبعاد هذه البعثة فعلمت أن ذلك يرجع إلى أن الحكومة اليمنية كانت قد سمحت لهذه البعثة الأمريكية بالتنقيب عن الآثار في منطقة مأرب وغيرها من البلاد اليمنية بموجب اتفاقية عقدت بين الطرفين أهم بنودها أن تكون جميع الآثار التي تعثر عليها البعثة ملكا لحكومة اليمن التي ساهمت بمبالغ كبيرة في هذا المشروع العلمي الجليل . وقد بدأت البعثة عملها بعد أن وقعت على الاتفاقية بتاريخ ١٦ أبريل سنة ١٩٥١ ونجحت في العثور على آثار عظيمة . ولما أوشكت مدة الاتفاقية أن تنتهي طلب رئيس البعثة من الحكومة اليمنية أن يستمر في العمل واعدا بإلاف الأخطاء التي ارتكبها أعضاء

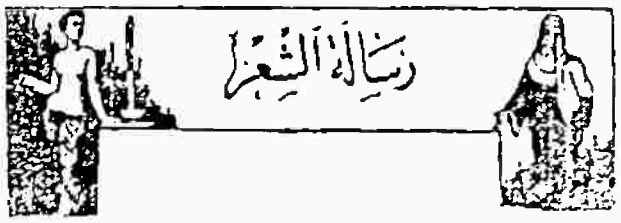

خطـــوط

للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى

فقير أجـــل .. ودميم دميم بلون الشتاء .. بلون الغيوم
يسير فتسخر منـه الوجوه وتسخر حتى وجوه الهموم
فيحمل آلامه فى جمود ويشرب أحزانه فى وجـوم
ركم نبهته أكف الصغار قاذفة بالحصى والرجـوم
ولـــكنه أبدا حالم وفى قلبـه يقظات النجوم

• • •

فقـــير .. وسادته توبه إذا ما غفا .. والفراش الحصير
حصـير تهادم حتى يكاد يخضر .. يرجع عشبا نضير
وغرفته حفرة تتمـالى بجدران قبر .. وباب قصير
ومائدة وقفت كالعجوز سيقانها خالدات العمر
ومصباحه ميت .. ميت كقلب الغنى .. ووجه الفقير

• • •

دميم .. فوجه كأنى به دخان تكثف ثم التحم
وعينان فيه كأرجوحتين متقلتين يريح الألم ..
وأنف تحـــدر ثم ارتمى فبان كغيرة لم تتم ..
ومن تحتها شفة ضخمة بدائية .. قلمـــا تبتسم
وقامته الصقت بالتراب وإن هزئت روحه بالقمم

• • •

وقالوا: أحب .. ورددت الألسن الســاخرات .. أحب أحب !
وما ذكروا أنه مثلهم له بين جنبيه قلب يحب
وهل عرفوا الحب أهل عرفوه سوى أنه جسد يضطرب
وفاكهة تشتهيها العيون وكف تجوع .. وكف تهب
ولو سألوا قبحه .. لأجابت كآبة عينيه إن لم يجب !

• • •

أحب التى شربت كأسه وأبصر فى نفسها نفسه
وكم ظل يسأل عنها الوجوه ويطرق محتضنا يأســه
ويهرق معسوله فى تراب ليساليه .. محتفراً رمسه
إلى أن رآها .. رآها فغنى لحاضره .. وبكى أمسه
وعانق فى مقلتيها أساه وقدس فى طهرها رجسه

• • •

وكان يخاف لقـاء المنيـة قبل لقائهما .. قبلهـا
فأمسى يود خلود الحيـاة احتياله .. وليحيا لهـا
وما شهد الفجر أحلام عينيه إلا مصليـة حولهـا
وما سمع الليل أشواق جنبيه إلا منـــورة ظلها
فلا تحسبوه يغنى لكم ولـــكنه يتغنى لهـا

محمد مفتاح الفيتورى

بعثته لجوارهم بتقاليـد أهل البلاد وعاداتهـم . وفى الوقت الذى كان يفاوض فيه الحكومة اليمنية اعتقل البوليس اليمنى عددا من أفراد البعثة بعد منتصف الليل وهم يهمون بمغادرة اليمـن حاملين معهم كثيرا من التحف الأثرية والتماثيل ، فقررت حكومة الإمام على أثر ذلك عدم تجديد الاتفاقية وابعدت البعثة عن اليمن

وقد اكتشف أخيرا أن بعض أفراد البعثة قد نجحوا فى سرقة تمثال بلقيس ملكة سبأ وهو يعتبر من التحف الأثرية النادرة

وقد علمت أن الدوائر الرسمية فى اليمن تعد تقريرا شاملا لترفعه إلى حكومة الولايات المتحدة لإعادة هـذا الأثر العظيم إلى موطنه الأصلى »

العودة ...

للأستاذ أحمد أحمد المعجمي

عدت للحب والطلى والأغاني ... والليالي والفاتنات الحسان
عدت كالطير للرياض وكالأز ... هار للدوح في الربيع الحاني
عدت للحب والجمال المفدى ... ناعماً بالخلود في الحسان
عجباً للزمان يفنى وللأك ... وان تفنى والحب ليس بفاني !
كيف يفنى حبي وتخمد أشوا ... قي وأنت الحياة ملء كياني !!

• • •

زعموا أنني سلوت هواك ... ونسيت العهود بعد نواك
لا وعينيك والورود النضيرا ... ت على وجنتيك لا أنساك
إن يكن صمتي الطويل شجاك ... فبروحي أعيش في نجواك
أين صوت اللسان من شغف القلـ ... ـب وصمت النسيان من ذكراك
يا فتاة الأحلام عودي فإني ... كنت في الصمت ناطقاً بهواك

• • •

عودة عودة إلى القبلات ... والعناق الشهي والصبوات
واللقاء النشوان بالصفو والبهـ ... ـجة والأغنيات والأمنيات
كلما أشرقت نجوم الدياجي ... طالعتنا بأوجه اللذات !
ومتى صفقت كؤوس الحيا ... رفعتنا الأحلام فوق الحياة !
مضت المعجزات إلا محيا ... ك فما زال أخلد المعجزات !!

• • •

أي سر يلوح في مقلتيك ؟ ... أي سحر ينساب في عطفيك !
أي بشر وروعة وجمـ ... ـال للنهى والقلوب في وجنتيك
زعموني سلوت عينيك أوهـ ... ـت بنبع الـ ... من شفتيك
فعلى مقلتي من سهر اللي ... ل ومن لهفة الحنين إليك !
واسمعي أدمعي وبث أنيني ... ونجوم الدجى شهوداً لديك !

• • •

أنت يادرة الجمال الفريد ... أنت يا واحة الشريد الطريد
يا ابتسام الحياة يا فرحة الهـ ... ـزون يا طلعة المنى والسعود
يا ملاكا تتلفل الحسن فيه ... هاتفاً : ها هنا يطيب خلودي
استمر الجمال فيك إلى أن ... فضحته النهود بعد الخدود !
فاكتسي حسنك الأنيق حياء ... وتهادى في مشيك الأملود !!

• • •

أين منك الرياض والأنداء ؟ ... أين منك الأضواء والأفياء ؟
أين منك الشموس والأنجم الزهـ ... ـر جميعا وأين منك السماء ؟
بت أحصي محاسن الكون طرا ... فإذا أنت وحدك الحسناء !!
فيك حيرة الجمال وفي قلـ ... ـبي قيود الهوى فنحن سواء !
فلم الهجر والنوى وجزاء الـ ... ـحب ذاك الجمال والإغراء !!

• • •

آه لو تعلمين هول شجوني ... وعذابي ولوعتي ونحيبي
وحنيني إليك في النأي كالأم ... إلى طفلها الوحيد الغريب
وحنوي عليك كالديمة الركـ ... ـاء تحبو الربى بأوفى نصيب
وأناتي فيك كالجدول الرقـ ... ـراق يجري مضمخا بالطيوب
يا حبيبي متى تعود الليالي ... مثلما مدت للهوى يا حبيبي !

• • •

سمع الطير فنوني وهيامي ... فتغنى بصبوتي وغرامي
ورأى الشاعرون حسني فأفرا ... ط بشعري فرددوا أنغامي
بالنصوص القريض مدت فعودوا ... لانتهابي وشمروا لاغتنامي !
يا شداة الألحان هاكم أناشـ ... ـيدي فغنوا بها ودوسوا حطامي
هل على المجديين ينتجمون الـ ... ـخصب لوم ، سميا على الأقدام

• • •

إنني أملك الكنوز جميعـ ... ـا في فؤادي صبابة وولوعا
وهياما بالحسن في كل وجه ... وانطلاقا مع الأماني سريعا
وطموحا وثورة وإباء ... وحياء وحيرة ودموعا
أنت وقرتها ينابيع في قلـ ... ـبي وأطلقتها خيالا رفيعا
أنت مادمت أنت ملء فؤادي ... فمن العجز أن أخر صريعا !!

• • •

حسدوني على أماني فيك ... هل رأوا فتنة ابتسامة فيك !؟
ظلموني وأمعنوا في عذابي ... أنا راض بالظلم لو يرضيك ؟
حبسوني في ظلمة الريف وحدي ... ليذالوا العلى بغير شريك !
تشرق الشمس وحدها والمصابيـ ... ـح دياجير في النهار الضحوك
فقد النصر للملاحف والشا ... رخلف القطيع كالمملوك !

أحمد أحمد المعجمي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الاحتفال بالذكرى الألفية لابن سينا

كان مقرراً أن يقام هذا الاحتفال في أكتوبر سنة ١٩٥١، في بغداد أولا، ثم في طهران، ولكن الحكومة الإيرانية طلبت أن يؤجل ريثما يتم بناء ضريح تقيمه لصاحب الذكرى في مدينة «همدان»، فقررت اللجنة المؤلفة في الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية الاحتفال بهذه الذكرى — بالاتفاق مع ممثل إيران — أن يقام الاحتفال ببغداد في النصف الثاني من شهر مارس سنة ١٩٥٢، وبطهران في النصف الأول من أبريل

صورة منحوتة لابن سينا وضع تصميمها الأستاذ أكرم شكري بالعراق وأهدتها لجنة ابن سينا ضريح تقيمه لصاحب الذكرى في مدينة همدان

وجاء شهر مارس «الحالي» فأنبأت الحكومة الإيرانية أن الضريح لم يتم بناؤه حتى الآن، وأنها قررت تأجيل احتفالها إلى موعد قريب سيعلن عنه وسيدعى إليه وفود من الدول العربية وعلماء ومستشرقون من مختلف أنحاء العالم

ومضت العراق في إعداد العدة لاحتفالها في الموعد المقرر، وقد عين يوم ٢٠ مارس الحالي لبدئه، ويستمر حتى اليوم الثامن والعشرين منه

الوفود المصرية:

وعينت الدول العربية وفودها إلى الاحتفال، ونذكر فيما يلي الوفود التي تقرر إيفادها من مصر:

يمثل جامعة الدول العربية في الاحتفال بهذه الذكرى، الأستاذ سعيد فهيم وكيل الإدارة الثقافية والدكتور أحمد فؤاد الأهواني والأب قنواتي والدكتور مختار الوكيل، وقد اعتذر الدكتور أحمد أمين بك وأعد كلمة في هذه المناسبة يلقيها الدكتور مختار الوكيل في حفل الافتتاح

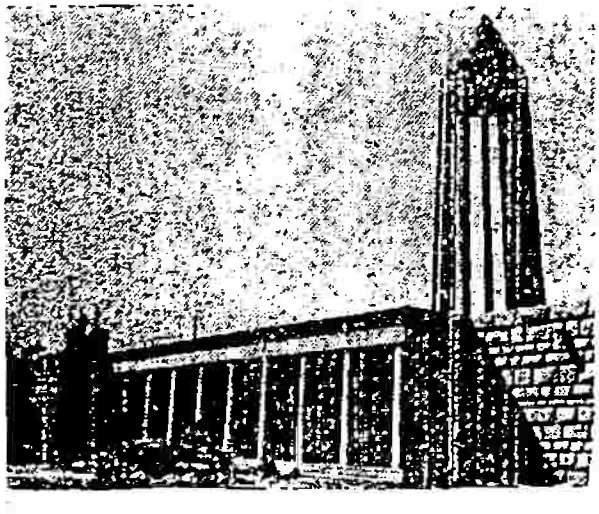

صورة لضريح ابن سينا في همدان

ويمثل مجمع فؤاد الأول للغة العربية الدكتور إبراهيم بيومي مدكور «وهو رئيس وفد مصر»، ويمثل وزارة المعارف المصرية الأستاذ محمود الخضيري، ويمثل جامعة فؤاد الأول الدكتور مصطفى عمر بك الأستاذ بكلية الطب، ويمثل جامعة إبراهيم الدكتور عبد الرحمن بدوي الأستاذ بكلية الآداب، ويمثل جامعة فاروق الأول الدكتور محمد ثابت الفندي، ويمثل الأزهر الدكتور محمد البهي

ويمثل المعهد الفرنسي بالقاهرة البروفسير شاول كوبنز ويحضر الاحتفال الأستاذ عادل الغضبان مندوبا من مجلة «الكتاب»، ويحضره أيضا من رجال الآثار المصريين الأستاذان عباس بدر وحسن عبد الوهاب والدكتور محمد مصطفى

الوفود الشخصية

وقد وجهت الحكومة العراقية دعوات خاصة إلى طائفة من العلماء في مختلف البلاد الشرقية والغربية ليشاركوا في الاحتفال وينزلوا في ضيافتها، وهم — بطبيعة الحال — غير المندوبين الرسميين، وإنما دعوا بصفاتهم الشخصية

فدعت أربعة من إنجلترا ، وأربعة من أمريكا ، واثنين من فرنسا ، وواحدا من كل من كندا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا والسويد والدانمرك وهولندا وكوبنهاجن والهند والباكستان وإيران وأندونسيا وتونس والجزائر ومراكش . وقد عرفت أسماء المدعوين الإنجليز والفرنسيين ، فالإنجليز هم الأستاذة جيب ومينورسكي وآربري وسيدني سميث ، والفرنسيون هم الأستاذان ماسينيون وبلاشير

وهي مصرى واحد واعتذر :

ودعت من المصريين واحدا هو معالي الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا وقد اعتذر . كما دعت ثلاثة يقيمون بمصر أحدهم إنجليزي وهو المستر كريزول أستاذ الآثار الإسلامية بمعهد الآثار بجامعة فؤاد الأول، والآخران هما الأستاذ العلامة ساطع الحصري بك والبروفسير شارل كوينز مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة وهو عضو في لجنة الاحتفال بالإدارة الثقافية ، ومما يذكر أن الأستاذ كوينز بذل جهودا قيمة في معاونة اللجنة ، وقد نشر المعهد الفرنسي بعض الأبحاث التي كتبها بعض أعضاء اللجنة في ذكرى ابن سينا

كشكول الأسبوع

□ قررت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية من بين ما تقدم به الأدباء من إنتاج في الشعر والقصة والبحث لمسابقة تشجيع الإنتاج الأدبي ، وقد استقر رأيها على الفائزين في هذه المسابقة ووافق مجلس المجمع في جلسته الأخيرة على النتيجة التي قررتها ، وعلى أن يقام حفل علني لإعلان هذه النتيجة وتقديم الفائزين يوم ٣٠ مارس الحالي بدار المجمع . وقد فاز أربعة، واحد في القصة وواحد في البحث واثنان في الشعر منح أحدهما الجائزة الأولى وهو من شعراء (الرسالة) ومنح الآخر الجائزة الثانية

□ تلقى الدكتور طه حسين باشا من المجمع العلمي الإيطالي أنه اختير عضوا به . ومما يذكر بهذه المناسبة أن سعادته عضو منذ سنين بالمجمع العلمي الفرنسي والمجمع العلمي الآسيوي

□ من « الصور الكاريكاتيرية » في الأدب العربي التي تحدث عنها الأستاذ كامل كيلاني في ندوة الاتحاد الثقافي المصري ، ما صور به ابن الرومي أنف كنيزة المغنية في البيت الآتي :

عوضت من ذوائب ولرون
حل أنف فيه أفرخين عش

□ قرأت في العدد الأنيق من (الرسالة) قصيدة « من وحي الكأس » للأستاذ محمود غنيم ، التي جمعت بين الدعابة المستطابة والالتفاتات الجميلة والموسيقية العذبة وقد استرعى انتباهي قوله فيها :

قد يغفر الله الكبير من كرم
ويخلد الراهب الكبير في النار

وذلك لتوارد خاطره مع المعري في قوله:

ولم آمن على الفقهاء حبسا
إذا ما قيل للأمناء جوزوا

□ من أنباء عدن أن الهيئات والجمعيات والصحافة هناك ، طالبت باتخاذ العربية لغة رسمية مع اللغة الانجليزية في عدن وفي جنوب الجزيرة العربية المحتلة بالقوات الانجليزية . والغريب في هذا النبأ أنه يطلعنا على واقع يدعو إلى الدهشة والأسف وهو أن جزءا من « الجزيرة العربية » لا تستعمل فيه العربية لغة رسمية ! وما أشد تواضع المطالبين .. إذ يطلبون فقط مشاركتها للغة الانجليزية

يطرد « الدمنيون » في الاحتفال :

ويلاحظ أن الدعوات الشخصية وجه أكثرها إلى إنجلترا وأمريكا وبلاد « الدمنيون » ، فقد ظفر « الإنجلو أمريكان » وحدهم بثماني دعوات، وثمة بلاد حافلة بكبار المستشرقين كألمانيا وهولندا ولم يدع الا واحد من كل منها .

وإذا كان لنا أن نقضي عن مصر ومن فيها من الأعلام وأساتذة الأدب والفكر ، وأن ندع الحديث في إهمال دعواتهم لأننا مصريون ، فلا أظن أنه يحسن السكوت عن عدم توجيه مثل تلك الدعوات إلى أحد من سائر البلاد العربية ؟ أفلم تجد الحكومة العراقية في سوريا أو لبنان مثلا من هو أهل لكرمها الذي كان « حاتميا » في الغرب و « ماديا » في الشرق . إن صح أن ينسب الكرم إلى « مادو » .. ؟!

لجنة الاحتفال وأعمالها :

وتتكون لجنة الاحتفال المؤلفة بالإدارة الثقافية ، من الدكتور أحمد أمين بك « رئيسا » والدكاترة والأساتذة إبراهيم بيومي مدكور ومحمد البهي ومحمد يوسف موسى وأحمد فؤاد الأهواني ومحمود الخضيري والسيد محمد تقي القمي وشارل كوتز مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة والمستشرق ماسينيون عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

والأب جورج شحاتة قنواتى

وقد عملت هذه اللجنة فى الإعداد للاحتفال بذكرى ابن سينا منذ سنتين ونصف سنة. عقدت فى خلالها اثنتين وعشرين جلسة. وأهم ما أنجزته فى هذا السبيل تحقيق جزء المنطق من كتاب « الشفاء » للرئيس ابن سينا ، قامت به لجنة فرعية برياسة الدكتور إبراهيم بيومى مدكور ، وطبعت الكتاب وزارة المعارف المصرية ، وكلفت اللجنة الأب قنواتى بالكتابة عن مؤلفات الشيخ الرئيس ، فقام بذلك فى مؤلف صدر فى العام الماضى عنوانه « مؤلفات ابن سينا » . وقام أعضاء اللجنة ، كل منهم فى مجال اختصاصه ، بعمل بحث سياق فى الاحتفال . وقد نشر المعهد الفرنسى عدة أبحاث فى ذكرى ابن سينا لبعض أعضاء اللجنة، منها بحث للدكتور محمد يوسف موسى فى الناحية الاجتماعية والسياسية من فلسفة ابن سينا ، وبحث للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى فى الناحية النفسية من هذه الفلسفة. كما قام المعهد بنشر بحث آخر للأستاذ لوى جارديه المستشرق الفرنسى فى المقدمات الفلسفية للتصوف السينوى

واستكتبت اللجنة بعض العلماء والكتاب والمستشرقين مقالات وأبحاثا تتناول مختلف الموضوعات التى كانت ميادين لإنتاج ابن سينا . وقد وصلها طائفة من الموضوعات أعدها بعض المستشرقين ستلقى فى الاحتفال

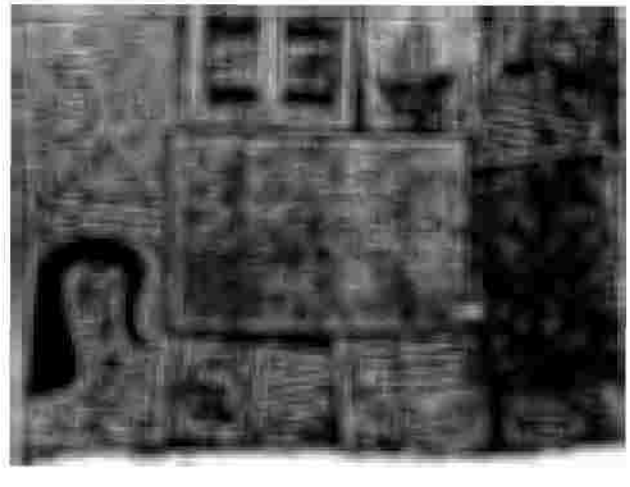

صورة غلاف مجموعة من مخطوطات ابن سينا النادرة مهداة من الادارة الثقافية إلى الدول العربية

معرض المخطوطات والصور

وسيقام فى أثناء الاحتفالات معرض تعرض فيه المخطوطات النادرة لابن سينا ، وقد قام بتصويرها قسم التصوير بمعهد المخطوطات فى الإدارة الثقافية ، كما يعرض فيه معظم الكتب المطبوعة من مؤلفات الشيخ الرئيس والكتب المؤلفة فيه ، قديما وحديثا ، باللغة العربية وبغيرها من اللغات الحية

وتعرض فى هذا المعرض أيضا صور منتخبة لابن سينا صورت فى العراق وفى إيران أو جلبت من دور الكتب العامة والخاصة فى استنبول وفى أوربا ، وصور لتوقيعه وبعض خطه ، وطوابع بريد تذكارية وضعت فى إيران ، ومجموعة من مخطوطات ابن سينا النادرة ستهديها الإدارة الثقافية إلى الدول العربية

عباس مصر

المطبعة الأميرية ببولاق

تقبل المطبعة الأميرية ببولاق عطاءات لغاية ظهر يوم السبت الموافق ٥ أبريل سنة ١٩٥٢ من طبع وتوريد ٥٠٠٠٠٠٠ نسخة من الجزء الأول من كتاب « تعلم » باللغة العربية لمكافحة الأمية ويمكن الاطلاع على الشروط والمواصفات بقلم القايسات والتمرين بالمطبعة الأميرية فى ساعات العمل الرسمية . وتقدم العطاءات فى ظروف مقفولة بالجمع الأحمر باسم حضرة صاحب العزة مدير عام المطبعة الأميرية ومكتوبا عليها « عطاء عن طبع كتاب لمكافحة الأمية » مع إرفاق التأمين الابتدائى وقدره ٢٪ من قيمة العطاء هذا مع ملاحظة أنه فى حالة إرسال شيكات من التأمين المطلوب يجب أن تكون معتمدة من البنك قبل إرسالها ١٠٦٩٠

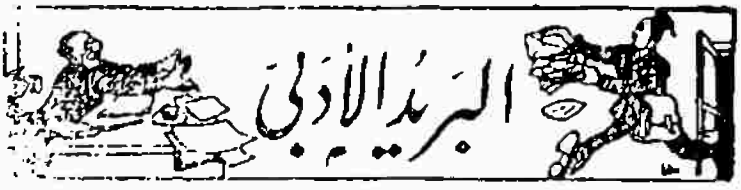

إلى أخي الأستاذ رجب البيومي

السلام عليكم ورحمة الله وبعد، فإني لم أرد أن أدخل بينك وبين الأستاذ شاكر فيما شجر بينكما من خلاف، حتى ينتهي إلى غايته كما انتهى .. ذلك أني كنت حريصاً على أن أدعك ورأيك، وألا أبدأ تعارفي بك في زحمة الجدل. وإن ظن أخونا شاكر أن بيننا صحبة وثيقة هي التي تدفعك إلى رد تهجمه أو تقحمه، حتى لقد أنذرنا مما عدارة يوم القيامة: «الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو»، لأن مألوف الناس قد جرى في هذا الزمن الصغير، على أن الحق وحده، أو الرأي وحده، لا يكفي لأن يدفع كاتباً فيكتب، دون هوى من صداقة أو علاقة!

ولو كانت بيننا معرفة سابقة، ولو استشرتني قبل أن تدخل مع صاحبنا في جدل، حول ما أثاره من صخب، وما نفضه من غبار، لأشرت عليك ألا تدخل، ولآثرت لك ما آثرته لنفسي من إغضاء وإغفال .. ذلك أني لم أستشعر في هذا الصخب الصاخب أثراً من صفاء نية ولا رغبة في تجلية حقيقة. ولو استشعرت شيئاً من هذا ما تركت صاحبي دون أن أجيبه — على الأقل من باب الأدب واللياقة — ولكنني اطلعت على أشياء، ما كان يسرني والله أن أطلع عليها في نفس رجل ربطتني به مودة أصفيها له في نفسي، بعد ما كان بيننا من جدل قديم يعرفه قراء الرسالة عام ١٩٣٨، وما أزال أرجو أن أكون مخطئاً فيما أحسست به، وأن تبقى لي عقيدتي في ضمائر الناس، وفي الخير الذي تحتويه فطرتهم

ولو كانت الحقائق هي المقصودة، لما احتاج الكاتب الفاضل إلى اصطناع مثل هذا الأسلوب الصاخب المقرقع، ولما لجأ منذ مقاله الأول في «المسلمون» إلى الشتم والسب والاتهام بسوء النية وسوء الخلق والنفاق والافتراء والسفاهة والرعونة .. إلى آخر ما خاضه — ويغفر الله له فيه — فدون هذا وتعالج أمور النقد العلمي، وبغير هذا الأسلوب يمكن تمحيص الحقائق

إنه لا معاوية، ولا يزيد، ولا أحد من ملوك بني أمية قد اغتصب مال أبي أو جدي، أو قدم إلى شخصي مساءة ولا إلى أحد من عشيرتي الأقربين أو الأبعدين .. فإذا أنا سلكت في بيان خطة معاوية في سياسة الحكم وسياسة المال، وخطة الملوك من بعده (فيما عدا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه) مسلكا غير الذي سلكته في بيان خطة أبي بكر وعمر وعلي رضوان الله عليهم جميعا — فليس أول ما يتبادر إلى الذهن المستقيم، والنية السليمة، أن ما بي هو سب صحابة الرسول — صلى الله عليه وسلم — لا عن خطأ ولكن عن رغبة قاصدة في إفساد الإسلام، وسوء نية في تدنيس المسلمين !!!

وكتاب العدالة الاجتماعية مطبوع متداول منذ أربع سنوات، وطبعته الثالثة في المطبعة، والصخب حوله الآن فقط، قد يشي بشيء لا أرضاه للصديق. وقد قرأه الناس في أنحاء العالم الإسلامي، فلم يستشعر أحد من موضوعه ولا من سياقه، أن النية السيئة المبيتة لهذا الإسلام وأهله هي التي تسمر سطوره!

إنما أحس الألوف الذين قرأوه — أو على الأقل المئات الذين أبدوا رأيهم فيه — أن كل ما كان يعنيني هو أن أبرئ الإسلام من تهمة يلصقها به أعداؤه، وشبهة تحيك في نفوس أصدقائه. إذ يحسبون أن سياسة بني أمية في الحكم وسياستهم في المال، تحسب على الإسلام. والإسلام بريء من هذا الاتهام

روى سعيد بن جمهان عن سفينة — مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك. ثم قال سفينة: أمسك خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي .. فوجدناها ثلاثين سنة .. قال سعيد: قلت له: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم. قال: كذبوا بنو الزرقاء! بل هم ملوك من شر الملوك — رواه أصحاب السنن بسند حسن

وأحسب لقد كان بنفسي — وأنا أعرض النظام الاجتماعي في الإسلام — أن أقول شيئاً كالذي قاله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم — لا عداء شخصيا لبني أمية، ولكن تبرئة للإسلام

من أن تحسب عليه سياسة لا يعرفها ، لا فى الحكم ولا فى المال . والإسلام منها برىء ، فيجب أن يعرف الناس براءته ، وأن يعرض عليهم فى صورته التى عرفتها الخلافة السمحة ، وأن ينفى عنه ما لحقه فى عهود الظلام والاستبداد

وما كان لى بعد هذا ، وأنا مالك زمام أعصابى ، مطمئن إلى الحق الذى أحاوله ، أن ألق بالا إلى صخب مفتعل ، وتشنج مصطنع .. وما كان لى إلا أن أدعو الله لصديقنا شاكر بالشفاء والعافية ، والراحة مما يعانى ، والله لطيف بعباده الأشقياء

أما أنا فما أحب أن يكون لى مع قوم خرجوا على خليفة رسول الله ، وقتلوا ابن بنت رسول الله ، ورموا وحرقوا بيت الله ، وساءوا فى سياسة الحكم وفى سياسة المال على غير هدى الله .. أدب أرفع من أدب مولى رسول الله ، الذى أدبه ورباه !!!

سيد قطب

كمال الدين جودت

نعت الصحف منذ أيام المغفور له الأستاذ كمال الدين جودت المهندس ، والد صديقنا الأستاذ الشاعر صالح جودت ، وشقيق الأستاذ الفاضل صالح جودت بك المحامى ، والذى يعنى « الرسالة » الكشف عنه ناحية أدبية فى حياة الفقيد لا نحسب أن أحداً يقف عليها أو يذكرها اليوم

فقد كان المرحوم كمال الدين جودت مهندساً بحكم تعليمه وثقافته ، ولكنه كان إلى جانب هذا أديباً فناناً بدافع طبيعته ومواهبه ، فقد عنى فى مطلع حياته بالكتابة على أسلوب القدماء ، ثم انصرف عن ذلك إلى الزجل أو الشعر العصرى كما كان يسميه ، وكانت له فى هذا السبيل محاولة طيبة ، إذ أراد أن يستخدم الزجل فى تقريب العلم وتحبيبه إلى النفوس بين الناشئين والعامة ، فمن ذلك أنه نظم جغرافية القطر المصرى بالزجل فى كتاب سماه « قلائد الدر فى جغرافية مصر » طبعه عام ١٩٠٣ م وهو بهذا الصنيع يقابل صنيع العلماء فى نظم العلوم شعراً كما صنعوا فى النحو والقراءات والفقه والمنطق والحساب وتقويم البلدان ، ولا شك أن أسلوب الزجل فى هذا يكون أقرب وأحب إلى نفوس الناشئة والعامة لقرب مأخذه وقلة المئاتة فى فهمه

وأسلوب المرحوم كمال جودت فى الزجل لطيف خفيف ، فهو يفتتح كتابه فى جغرافية مصر قائلا :

باسم الكريم أفتح زجلى ... فى علم تقويم البلدان
إياك على الله ابلغ أمل ... وانفع به أبناء الأوطان
العلم ده اسمه جغرافيه ... كان وتقويم البلدان
كله فوائد مال كافيه ... طبعاً لتثقيف الأذهان

وهو بهذا الأسلوب يأخذ فى الحديث عن هذا العلم وتقسيماته ووصف هيئة الأرض وأقسامها ، ثم يأخذ فى وصف القطر المصرى ومدنه وأقاليمه ، فنجده يتحدث مثلا عن مديرية الشرقية وتقسيمها الإدارى فيقول :

مندى مديريه سنيه ... بحثت منها بالتدقيق
حلوه تسمى الشرقيه ... خص به وبندرها الزقازيق
عدد مراكز الشرقيه ... ستة بدت بالبهجات
فاقوس وبلبيس مع ههيا ... وكفر صقر مع القنيات
وكمان مركز منيا القمح ... مركز لطيف خالص وجيل
وفى وصفهم يحتاجوا شرح ... وقصدنا عدم التطويل

أما وقد وصف — رضوان الله عليه — بلدتى منيا القمح بأنها « مركز لطيف خالص وجيل » فإن الوفاء ليقتضينى وقد انتقل إلى جوار ربه أن أرد له هذا الجميل

محمد فهمى عبد اللطيف

تحقيق لغوى

يذهب بعض الباحثين إلى وجوب تجريد الفعل الماضى الثلاثى المنفى والاستثناء من الواو ، ولست معهم فيما ذهبوا إليه ، والسماع خير شاهد ، وإليك الأدلة :

١ — قال الأصمعى : « يستحب من المهارى أن تقصر أذنابها ، وقل ما ترى مهريا إلا — ورأيت — ذنبه المعل كأنه أفعى » أوهام شراح العرب لأحمد تيمور باشا ص ٤٣ نقلا عن التبريزى فى شرح المعلقات

٢ — قال دعبل : « مضى على ستون عاما ما تصرم منها يوم إلا — وقلت فيه شعراً — » من مجلة الرسالة الغراء السنة

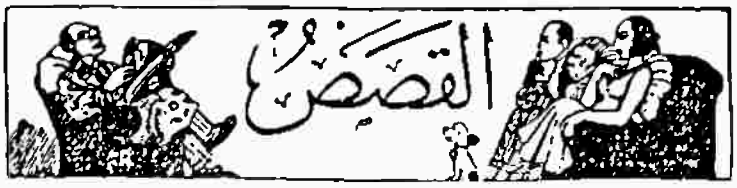

المارد الذي يحب نفسه

للكاتب الإنجليزي أوسكار وايلد

كان الأطفال قد اعتادوا دخول بستان المارد واللعب فيه حين يعودون من المدرسة عصر كل يوم. وكان بستاناً واسعاً، رقيق الحواشي، قد اكتست أرضه بالعشب الأخضر الطري، وانتثرت في أرجائه الأزهار الجميلة كأنها النجوم. وكانت فيه اثنتا عشرة شجرة من أشجار الخوخ التي تتفتق في الربيع عن أزهار رقيقة زاهية الألوان كأنها اللآلئ، تتحول في الصيف إلى ثمار يانعة سائغة. وكانت الأطيار فيه تعتلي غصون الشجر وتغرد في عذوبة تصرف الأطفال عن ألعابهم وتستوقفهم

ما خوذين، فلا يملكون أن يعبروا عن نشوتهم بغير هذا القول:

— ألا ما أسعدنا في هذا المكان!

غير أن المارد عاد يوماً من زيارة أحد أصدقائه الثيلان، بعد أن لبث معه سبع سنين، أنهى في خلالها كل ما أراد أن يحدثه به — فإن محادثته كانت محدودة تنتهي ولا شك — عاد المملاق إلى قصره فرأى الصغار يلعبون ويمرحون في البستان! فصرخ فيهم بصوت خشن غليظ قائلا:

— ماذا تصنعون هنا؟

فانطلق الأطفال من فورهم هاربين! ثم استأنف المارد صراخه قائلا:

— إنما هذا البستان ملكي، وذلك ما يستطيع إدراكه كل إنسان، ولست أسمح لأحد غيري باللعب فيه أبداً:

ثم قام فصنع جداراً رفيعاً سور به بستانه، ورفع لوحة كتب عليها هذا الإعلان:

سيجزى المخالفون شر الجزاء

فياله من مارد لا يؤثر أحداً بالحب سواه!

الخامسة ص ١٥٨٧، وفي الصفحة التالية من المرجع نفسه يقول لأحد أصدقائه. « ما كانت لامرىء عندي من منة إلا — وعنيت موته — »

٣ — وقال البديع في المقامة التاجية: « وما سكنت حرب إلا — وكنت فيها سفيراً — »

٤ — ومن أبيات الشواهد:

نعم امرأ هرم لم تمر نائبة إلا — وكان — لمرتاع بها وزرا

٥ — وقال عنترة:

أنا الشجاع الذي ما رمت منزلة إلا — وأدركها — سعدي وإقبالي

٦ — وقال أبو فراس:

وما اشتورت إلا — وأصبح — شيخها

ولا احتربت إلا — وكان — فعالها

٧ — وقال المبرد يشرح بيت الفرزدق:

بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم

ولم تكثر القتلى بهـا حين سلت

وهذا البيت طريف عند أصحاب المعاني، وتأويله لم يشيموا لم يغمدوا ولم تكثر القتلى: أي لم يغمدوا سيوفهم إلا — وقد كثرت — القتلى حين سلت. اهـ بلفظه نقلا عن تهذيب الكامل للأستاذ الصباغي ج ١ ص ٣١٢

فقد أتى مع الواو بقد وورد مثل هذا شعراً ونثراً

أقول: والذي هداني إليه البحث وتتبع الأساليب العربية، أن تجريد الفعل من الواو في مثل هذا أكثر، وهو مع كثرته لغة القرآن الكريم، ودخول الواو على الفعل وحدها أو مع قد مسموع في الفصيح شعراً ونثراً، ولسنا في حاجة إلى صرف هذه الشواهد إلى الضرورة أو الشذوذ أو لأن بعضها لا يحتج بقائله، وليسع أدباؤنا المعاصرون الذين يشيع على ألسنتهم وفي كتاباتهم هذا التعبير ما وسع هؤلاء الأفاضل، فليس من الخطأ على كل حال، وإن كان التجرد أكثر على ما يظهر

رياض عباسي

ولم يبق حينذاك للأطفال الساكنين ملعب يرتمون فيه . لقد حاولوا أن يتخذوا لهم من الشارع ملعباً ، ولكنهم زهدوا فيه حين وجدوه مليئاً بالأتربة والأحجار ، وظلوا كذلك يحومون حول الجدر الرفيعة — حين ينتهون من دروسهم — لاهجين بخيال ذلك البستان الذي وراء تلك الأسوار ، وبأيام سعادتهم التي انتهت ، يقولون :

— ألا ما كان أسعدنا هناك !

ثم قدم الربيع وانتشرت بمقدمه الأزهار والأطيار في كل ناحية على الأرض غير بستان هذا البارد اللئيم الذي لم يبرحه الشتاء . إن الأطيار لم يعنها أن تفرد فيه حين غاب عنه الأطفال ؛ وإن الأشجار قد نسيت أن تورق أو تزهر ... ولقد أخرجت إحدى الأزهار الجميلة مرة رأسها من بين الأعشاب فهالها وأحزنها أن ترى لوحة الإعلان تمنع الصغار من غشيان البستان ، وانسلت هاربة لتستأنف نومها العميق الذي كانت مستغرقة فيه . ولم يكن في العالم أحد قد استولى السرور عليه غير « الثلج » و « الجليد » اللذين قالا في نفسيهما :

— إن الربيع قد نسي هذا البستان ، ولذلك فإننا سنحيا هنا طوال العام !

وكذلك طغى « الثلج » على الأعشاب وأسبل عليها طرف ردائه السابغ ، وانتشر « الجليد » على الأشجار فكساها حلة من الفضة ازدانت بها ، ثم إنهما أمرا ريح الشمال أن تبقى معهما فلبت أمرهما ، وجاءت ملتفة بالفراء تصفر طوال النهار خلال البستان والمداخن ، فرحة بهذا المكان البهيج

ثم إنهم قرروا دعوة « البرد » فنزل وأنشأ يتحدر كل يوم ثلاث ساعات بشدة حتى يكسر بلاط القصر ، فإذا تم منه هذا أمعن هرباً حول البستان يطوف بأقصى ما أوتيه من سرعة ! لقد كان برداً عجيباً أغبر ، وكانت أنفاسه بيضاء كالثلج !

وقد جلس البارد اللئيم ذات يوم في الشباك المطل على البستان الأجرد الشاتي ، وقال يحاور نفسه .

— ما أقدر أن أفهم سبب تأخر الشتاء حتى الآن ! وما أظن إلا أن تغيراً قد طرأ على الجو .

ولكن الشتاء لم يأت ، ولا جاء بعده صيف ولا خريف ... بل إن الخريف نفسه جاء وأنضج الثمار في كل بستان إلا في بستان هذا البارد الذي كان يعرفه الخريف لئيما لا يحب أحداً غير نفسه !

وإن البارد المضطجع ذات صباح في فراشه ليسمع أثناماً شجية تطرق أذنيه خيل إليه لعذوبتها أنها من فرقة موسيقى الملك حين كانت تجتاز الطريق ، ولم تكن تلك الأنغام الشجية غير صدح طائر صغير كان يشدو على بعد من نافذته . لأنه ما سمع من أمد بعيد شدو طائر ، فظن أن ما طرق أذنيه أعذب ما في العالم من ضروب الألحان !

ثم إن البرد وقف تهتاف به من حوله ، وريح الشمال تطلق صفيرها ، وهبت على البارد من النافذة نفحة من أريج عبق جميل . فقال البارد في نفسه :

— ما أحسب إلا أن الربيع قد جاء أخيراً . وقفز من فراشه ، فماذا أرى !

إنه لمنظر جد جميل !

أولئك هم الأطفال الصغار ، قد دخلوا البستان من خلال ثقب صغير وجدوه في أحد الجدر واعتلوا الأغصان وبقوا هنالك جالسين . وقد ابتهج الشجر بقدومهم فأزرق ، وماس على رؤوسهم في حب وحنان ، وكانت الطير تشدو حيناً وتطير حيناً في جذل وابتهاج ، والزهر يرنو إلى ذلك بسام الثغور من بين الأعشاب

— إنه حقا لمنظر بهيج !

ولكن الشتاء لما يبرح تلك الزاوية القصية التي وقف فيها أصغر الأطفال يجول طوراً ، ويطوف بما حوله طوراً آخر ، والشجرة المسكينة التي يقربه ما تزال شاتية . . إن ذلك الطفل لم يتمكن من الوصول إلى الغصن لصغره ؛ وكانت الريح الشمالية تعصف حوله ، والشجرة تنحني له ما استطاعت وتدعوه قائلة :

— تعال أيها الطفل الصغير ... ولكنه لي يقدر على شيء من هذا !!

... وأدركت البارد عليه الشفقة حين رآه فقال :

— ألا ما كان أشد إيثاري لنفسي ! لقد عرفت الآن سبب انقطاع الربيع من المجيء إلى هنا ... سأذهب إلى ذلك الطفل

فأضمه على الشجرة ، ثم أنثني على الجدار فأهدمه وأجعل من بستاني هذا ملعباً وقفاً على الأطفال حتى الأبد ... واشتد أسفه على ما كان بدر منه

ثم إن المارد نزل وفتح بابه في هدوء وسار في بستانه ؛ ولكن ما إن رآه الأطفال حتى هربوا ، وعاد الشتاء إلى البستان من جديد ! ولكن صبيا واحداً منهم لم يهرب ، ذلك هو الصغير الذي ملأت عينيه الدموع لما رأى المارد قادماً إليه

وتسلل المارد إلى الطفل ورفعه بلطف فأجلسه على الشجرة فما كان أسرعها حين أورقت وازدهرت ، وما كان أسرع الأطيار حين تساقطت عليها مغردة حائمة حول الصبي الصغير الذي كان يحولها عنه إلى عنق المارد مسروراً ، ثم انحنى الطفل على المارد فقبله ، فلما رأى أصحابه ذلك أمنوا المارد وعادوا وعاد معهم الربيع ، فقال المارد يخاطبهم :

— إنه بستانكم أيها الصغار الآن . ثم تناول معولا كبيراً فهدم به الجدر القائمة حول البستان . فكان الناس إذا مروا به في طريقهم إلى السوق في منتصف النهار رأوا المارد يلاعب الأطفال في أجمل بستان تقع العين عليه !

وظل دأب الأطفال كذلك ، يلعبون طوال النهار ، حتى إذا أمسى المساء وخيم الليل ، عادوا إلى المارد لخيوه وانصرفوا

وقد سألهم المارد مرة عن صديقهم الصغير الذي كان قد رفعه على الشجرة ، فأجابوه بأنهم لا يدرون عن أمره شيئاً ، فإنه ذهب ولم يعد ... إنهم لم يروه من قبل ، ولا رأوه من بعد ، ولا يعرفون أين يسكن . لشد ما حزن المارد على ذلك الطفل الصغير الذي قبله !

* * *

بقي الأطفال على هذا : يختلفون إلى البستان عصر كل يوم بعد انتهاء دروسهم ، فيلعبون مع صديقهم المارد ... غير أن الطفل الصغير وحده كان المتخلف من بينهم أبداً . ولكم كان المارد يشتاقه ويحبه ، ويتحدث عنه ويتمنى أن لو رآه

ومضت على ذلك السنون تتبعها السنون ، فشاخ المارد وعجز عن مشاركة صغاره اللعب ، فكان يجلس على مقعد وثير ليتفرج عليهم هانئاً مغتبطاً . وكان يقول في نفسه :

— إن في هذا البستان لكثيراً من الأزهار الجميلة . ولكن أجمل منها في نظري هؤلاء الصغار

وفي صباح يوم شات — وقد أصبح الشتاء الآن لا يفزع المارد ، وإنما هو إغفاءة قصيرة لا يلبث الربيع بعدها أن ينهض بأزهاره وتهاويله — في صباح ذلك اليوم ، بينما كان المارد يرتدي ثيابه إذ بصر بشيء هاله . فكذب نظره وكذب نفسه ... إنه منظر مدهش عجيب ! أفي الإمكان هذا ؟ شجرة حالية بالنوار الجميل في تلك الزاوية القصية وتحتها طفله الصغير الذي أحبه واقفاً ؟

هرول المارد نازلا يستخفه الفرح ، وجاز أرجاء الحديقة مسرعاً حتى جاء إلى الطفل ، وما كاد يقترب منه ويراه حتى طما غضبه واربد وجهه ، وسأله قائلا حين بصر بآثار مسمارين على يديه ومثلهما على رجليه :

— من ذا الذي تجرأ فجرحك ؟ قل من ذا الذي تجرأ عليك ففعل ؟

فأجابه الطفل الصغير :

— كلا ... ما هذه جروح حقيقية ، إنها جروح الحب !

وهنا استولت على قلب المارد الرهبة والخشوع فخر ساجداً أمام قدمي طفله وسأله قائلا :

— من أنت إذاً ؟

فأجابه الطفل باسماً : أنا الصبي الذي سمحت لي مرة باللعب في بستانك هذا ، جئت لآخذك معي إلى بستاني الذي هو الفردوس

* * *

وحينما هوى الأطفال عصر ذلك اليوم كعادتهم ، وجدوا المارد ميتاً في مكانه تحت تلك الشجرة ، وقد نثرت على جثمانه الأزهار والدور الأبيض الجميل

ف . س

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

والقصص

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

ابتداء من ١٢ مارس سنة ١٩٥٢ قد بدأ سير القطارات الآتية :

(١) قطار الاكسبريس رقم ٧٧٦ الذى يغادر مصر فى الساعة ٣ر١٥ إلى المنيا

(٢) قطار الاكسبريس رقم ٧٧٧ الذى يغادر المنيا فى الساعة ١٢ر٤٥ إلى مصر

(٣) قطار الاكسبريس رقم ٧٧١ الذى يغادر مصر فى الساعة ٣ر٣٠ إلى الاسكندرية

(٤) قطار الاكسبريس رقم ٧٧٠ الذى يغادر الاسكندرية فى الساعة ١٣ر٣٠ إلى مصر

وذلك وفقاً لمواعيدها المدرجة بالجدول .

المدير العام

سيد عبد الواحد

مطبعة الرسالة